

دار الشؤون الثقافية العامة

دار الشؤون الثقافية العامة
THE GENERAL HOUSE OF CULTURAL AFFAIRS

رضا عباس أمين

مذكرات سجين من قرية بشير

تحرير: عبدالجبار آل مهودر



مذكرات

مذکرات
سجين من قرية بشير

وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة
العنوان - بغداد - الأعظمية - حي تونس
البريد الإلكتروني: info@darculture.com

دار الشؤون الثقافية العامة
THE GENERAL HOUSE OF CULTURAL AFFAIRS

مذكرات سجين من قرية بشير
بقلم : رضا عباس امين

موضوع الكتاب : مذكرات
بغداد - 2025

المدير العام ورئيس مجلس الادارة : د. عارف الساعدي

الطباعة الالكترونية : فاطمة جعفر

التصحيح الطباعي : رنا صباح

قياس الكتاب: 21 × 14 سم

عدد الصفحات : 224

الرقم الدولي : ISBN 9789922252582

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد : (5444) لسنة 2025

الناشر الالكتروني

مؤسسة السجناء السياسيين



الاشراف الفني

فاضل الحلو

حقوق النشر محفوظة، لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن خطي من الناشر.

All right reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrival system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

بقلم
رضا عباس أمين

مذكرات سجين من قرية بشير

(المراجعة اللغوية والصياغة الأدبية)
عبدالجبار آل مهودر

بغداد - 2025

الاهداء:

إلى أبي...

ذلك الجبل الذي كان يحلم ان أكون له سنداً في شيخوخته، وعوناً له في حياته، اذا ارتجفت يداه،
ووهنت قدماه.

لكن القدر كان أسرع من امانيه، فخطفني إلى غياهب الزنازين، قبل أن أفي بوعودي له.
وإلى أمي...

الحضن الذي ليس له بديل، ووجعي الذي اسمه (زهرة)، ها انا أستمد القوة منك، واردد دعاءك كل
مساء، لعله يخفف عني علتي، ويشفي مرضي.
أبي ... أمي ... اهديكما هذه الذكريات، لا تبريراً، بل وفاءً... لعلّ سطوري تكون ركعة غفران في
محراب حبكما.

لا عذب الله أمي انها شربت حب الوصي وغذتني باللبن
وكان لي والد يهوى ابا حسن فصرت من ذي وذا اهوى ابا حسن

وإلى رفاقي... الشهداء

أنتم يا من سلكتم معي الدرب الطويل، وارتقيتم شهداء دون وداع.
أستودعكم الله... وإني ارجو شفاعتكم، فقد تعاهدنا أن نلتقي، حيث لا سجون، ولا ظالمون...
هناك، في الجنة.

إليكم جميعاً، اهدي سطور ذكرياتي...

رضا عباس امين
قرية بشير / كركوك

٢٠٠٨

تمهيد:

هذه مذكرات كتبها صديقي في السجن، رضا عباس امين، الذي ولد في بيت الطين وعاش في القرية، ولم يكن اديباً ولا كاتباً محترفاً، لكنه كان شاهداً صادقاً على الجريمة المنظمة التي تعرض لها أبناء قريته ووطنه.

لم نكن نعرف بعضنا قبل السجن، لكن في الزنزانة، تقاسمنا الخبز والوجع، والأمل والانتظار، فعرفتُ فيه روحاً نقيّة، وقلباً طيباً، وهمّة عالية للتعلم وكتابة الشعر.

بعد سنوات طويلة، زرتُه سنة (٢٠٢٢) مع مجموعة من رفاق السجن، فوجدته على فراش المرض، وقد انهك التعبُ جسده! لكن ما أعجبني فيه عشقه للغة القرآن، وحفظه لأبيات الشعر العربي، ينطقها بلكنة تركمانية، كلما تحدثنا عن الذكريات، على الرغم انه ابن القرية الريفية، الذي لم يتقن العربية يوم اعتقاله.

وأكثر ما ادهشني أنني وجدت بين أوراقه، مذكرات مبشرة كتبها بيده، مرة بخطٍ، يسهل عليّ قراءته، وأخرى يصعب فهمه، كتب فيها بعضاً من سيرته، وبعضاً من جراحه، وبعضاً من صمته الطويل.

سألته: لماذا لم تُتمّها؟

أجابني وهو يبتسم بأسى: المرض سرق جسدي، ولم يترك لي طاقة للمراجعة.

فشعرتُ أن بين يديّ كنزاً لا يجوز أن يُترك للمجهول، فعاهدته أن أتكلّف بتحريرها وإعادة صياغتها لتكون صالحة للنشر، ووافق دون تردد، كأنها كان ينتظر من يحمل عنه هذا العبء الثقيل.

لكن دوامة الحياة اليومية، والالتزامات الاجتماعية، حالت دون الوفاء بوعدتي، وانقضى أكثر من عامين، وخشيت أن يسبقنا الموت، فتموت معه المذكرات.

اتصلت به كي أردّها اليه معذراً، لكنه أجابني: دعها عندك، لم يعد لديّ طاقة لقراءتها... افعل بها ما تشاء، وبقيت كلماته ترنّ في داخلي، كأنها وصية معلقة في الهواء.

منذ ذلك اليوم، وأنا اشعر بتأنيب الضمير، وكلما تذكرتها، ألوم نفسي على تسلمها، فعزمتُ على مراجعتها وتحريرها من جديد، وإعادة صياغتها اللغوية، متواصلاً معه عبر الهاتف، أسأله عن كل عبارة، وأتأكد من كل مشهد، وأضيف من ذاكرتي ما كنت شاهداً عليه.

وهكذا خرجت هذه المذكرات إلى النور. ليست فقط شهادة على مرحلة مظلمة من تاريخ بلدنا، بل هي أول صوت تركماني يُدَوِّن مأساة قرية بشير، وهي دعوة لنا جميعاً أن لا ننسى من أين بدأنا، ولا نضيع الهدف وسط ضباب الرحلة.

أسأل الله أن يوفقني في أداء الأمانة، وأن يمنّ على صديقي الحاج رضا عباس بالصحة والسكينة، وأن يجعل من هذه المذكرات سجلاً للتوثيق والتأريخ...

من صبي صغير في قرية نائية... إلى جرح وطني لم يندمل.

عبدالجبار آل مهودر

بغداد ٢٠٢٥

المقدمة:

منذ ما يزيد على عشرين عاماً، أعمل على توثيق تجربتي في السجن التي امتدت لأحد عشر عاماً، وقد أنجزت كتابة المذكرات بعد جهد طويل وتوثيق دقيق.

لكن، ونظرًا لما أعانيه من مرض السرطان، وما ترتب عليه من ضعف جسدي، الأمر الذي حال دون قدرتي على تحريرها ومراجعتها، وظلت محفوظة في مكتبي حتى سلمتُ مصيرها إلى التلف والضياع. لولا زيارة مجموعة من رفاق المحنة، ومن بينهم الاخ عبد الجبار آل مهودر الذي تصفح الأوراق وقرأ سطورها، فزاد اهتمامه بالمذكرات، وتعهد بمراجعتها وإعادة صياغتها بالشكل الذي ظهرت به، لتكون شهادة توثيقية حية تروي فصولاً من معاناة اهالي قرية بشير، قبل أن يسبقنا الأجل المحتوم.

تأتي أهميتها انها ليست مذكرات شخصية، انما هي تاريخ قرية، بل هو تاريخ امة ذاقت الويلات من نظام عنصري وطائفي شوفيني.

وهي دعوة لكل رفاق المحنة الذين شاركوني، اقبية السجون
والمعتقلات، ولا سيما اخوتي التركمان الى كتابة مذكراتهم، حتى لا تندثر
معنا في التراب، وتكون شاهداً للأجيال اللاحقة ليأخذوا العبرة
والدرس من التاريخ.

ولعل من يسألني ولماذا اعتقلوك ولم يعتقلوا غيرك؟
اجيبه بقول الشيخ المفيد (رض)

قل للذي في صروف الدهر عيرنا هل حارب الدهرُ الا من به خطر
وكم من نجومٍ في السماء ساطعة وهل يخسفُ الا الشمس والقمرُ

واخيراً... وليس آخرأ

ليس لي مالاً اتركه ارثاً لأولادي واحفادي ... غير هذه
الورقيات... لعلها تكون زاداً لهم في هذه الحياة.

رضا عباس امين المراغالي

قرية بشير / كركوك ٢٠٢٥

مذكرات صبي من قرية بشير...

انا ابن الأرض... ابن بشير
قرية المحبة والآباء، تلك الأرض الطيبة من تراب الوطن، التابعة
الى ناحية تازة جنوب كركوك.
بشير... قرية زراعية ريفية، تركمانية النبض واللسان، سكنها
اجدادى منذ القدم.
خرجتُ من ترابها... واكلتُ من سنابلها، وشربتُ من نبعها،
وتعلمتُ في مساجدها صلاتي وديني قبل أن أتهجى حروف الحياة.
وبشير ليست من بقايا العهد العثماني، كما ادعى من أراد طمس
هويتنا، بل هي روح تركمانية متأصلة في الجذر والدم، اسمها مركب من
كلمتين: (بیش) اي خمسة، و(یر) أي أرض...
فـ (بشير) تعني خمس أراضي، لكنها كانت لنا الأرض كلّها...
الوطن كلّهُ.

في هذه القرية، ولدتُ سنة ١٩٦٢ لأبٍ فلاح اسمه عباس امين
محمد المراغالي^(١) من مواليد ١٩٣٣ م.
وأم اسمها (زهرة علي نوري) تشارك والدي الفلاحة وتشدّ أزره إن
ضعف الصبر وتعب الجسد.
كنتُ المولود الذكر، فأختار لي اسم (علي رضا) تيمناً بالاسم المبارك
لثامن أئمة اهل البيت، غير ان مدير التسجيل، اعترض خشية اختلاط
اسم المولود مع اسم الاب، فاقصر على اسم (رضا).
وتبعني اختني الوحيدة، ثم مولوداً ذكراً اسمه (علي اكبر) لم تكتب
له الحياة.
كبرت محمولاً على أمل أبي، أرافقه إلى الحقل، أتعلم كيف ينمو
الزراع إذا سقاه العرق،
وكيف تحيا الأرض إن عرفت صاحبها. وأرعى الاغنام لتتغذى من
حليبها ولحمها.

(١) مراغالي اسم قبيلتنا نسبة إلى محافظة مراغى في ايران حالياً.

ومن الحقل إلى المسجد، مع اترابي كان يأخذنا آباؤنا صغاراً، نصلي معهم، نستمع إلى الخطباء، الموعظة وقصص الأنبياء وما يروى عن أهل البيت.

ذات مرة وأنا صغير صحبني والدي، لزيارة قبر جدي في مقبرة (جمعة كمال) التي لا تبعد عن القرية كثيرة، وأنا امشي اخذتُ منه مسبحته، وصرت ارمى بها الى الاعلى، واتلقفها بيدي.

اوقفني وسألني عن أهمية المسبحة، فاجبته: للتسبيح.

قال نعم: عندما تسبح الله فيها، تسمى تسبيح.

اما عندما ترميها الى الأعلى، وتجعلها للهو واللعب تسمى تقبيح
حرص ابي على تعليمي ودخولي المدرسة، منذ السنة الخامسة من عمري، عندما صحبني الى مدير المدرسة، طالباً منه قبولي في الصف الأول الابتدائي، لكن المدير امتنع قالاً: نقبله عندما يكون في السادسة من عمره.

طلب منه ان يقبلني مستمعاً.

تعذر المدير بعدم وجود مقعداً فارغاً!

اصر ابي: ان اجلس على الأرض مستمعاً فقط.

وبعد ان بلغت سن الدراسة، كان والدي يتابعني، فاستيقظ باكراً مع والدتي للحقل، نشغل الجرار ونربط المحراث، ويقوم والدي بالحراثة، وقبل ان يبدأ الدوام الصباحي، اغسل قدمي ويدي واسرع راكضاً الى المدرسة، غير ان رائحة الكاز تبقى عالقة في جسمي، فيطرمني الأستاذ ويستهزئ من رائحتي.

وفي شهري محرم ورمضان، كان صوت المنبر يعانق أرواحنا، فنستمع الى الشيخ جواد ميرزا، والشيخ مصطفى، والسيد أسد الله، والشيخ حسين البشير، الذين يأتون من خارج القرية ويتوزعون على مساجدها السبعة، لينيروا دروبنا، فنزداد إيماناً ومحبة.

كانوا يعلموننا تعاليم الدين والفقه، يؤنسون وحدثنا، يزرعون فينا بذرة الخير والانتفاء، ويفتحون قلوبنا للقرآن، يشرحون معانيه، ويقىمون الحلقات والدروس، حتى صار المسجد بيتنا الثاني، وساحة حب الحسين(ع)

وفي عاشوراء، نحرص على حضور المجالس الحسينية، ونرتدي السواد، ونشارك المواكب ونرفع الرايات على دورنا، ونهتف يا حسين.

لكن حزب البعث...

الحزب الذي بدأ ضحاياه بأفراذه أولاً، رأى في إيماننا تهديداً، وفي دموعنا على الحسين تمرداً، فبدأ يزرع السمّ في تربة بشير، منعوا المحاضرات، وسخروا من الحزن!

قالوا: لماذا تبكون على رجل مات قبل ألف وثلاثمئة عام؟ وشوّهوا صورة الشعائر الحسينية، ووصموها بالرجعية، فتحو أبواب المدارس للفوضى والاختلاط، ورفعوا شعار (نكسب الشباب لنضمن المستقبل) فدعوا الشباب إلى التنظيم فيما سمي بـ(الفتوة والطلائع)، وسحبوهم من سكينة المسجد إلى ساحات التصفيق للجلاد.

صاروا يمنعون الكتاب الديني، ويطردون الموعظة من المسجد، ويملؤون الصحف والمجلات بصور العري والانحلال، تحت شعار (الفن والثقافة).

وفي مرحلة المتوسطة، حاول البعث عسكرة المدرسة، وطلبوا منا الالتحاق بـ (الطلائع والفتوة) وقاموا بتوزيع الزي الخاص بها على الطلبة، وتسلمتُ الملابس، لكن المفاجأة لما سألني أبي عنها.

قلت هذه ملابس (الفتوة والطلائع)!

غضب أبي وقال: ارجعها غداً انها ملابس عفلقية! حاولتُ اعادتها للمدرسة، لكن الإدارة رفضت، بحجة تعليمات وزارة التربية.

وكان الأستاذ (وعد الموصل) المكلف بالتدريب، يعاقبني يومياً لعدم حضوري.

ولما علم أبي بذلك، عقب قائلاً: يفصل من المدرسة، ولا يرتدي ملابس العفالق.

ورأيته قلقاً، يكثر من التدخين، ثم خاطبني:

اقصد غداً صديقنا (اكبر أبو علي) وخذ معك الديك الرومي، هدية له، وبلغه سلامي، واطلب منه ان يعيد الملابس الى الإدارة، ويعفينا منها، وكان للحاج اكبر أبو علي تأثير على أستاذ وعد، وهكذا انتهى الامر بسلامة.

كانت هذه الأفكار الوافدة تخنقنا... نرى ديننا وأخلاقنا تُسرق،
ومساجدنا تُراقب... والبذور التي عُرسَت فينا كادت تُقلع من
جذورها.

لكن رجال القرية ومشايخها... لم يستسلموا، كانت وصاياهم لنا
بالابتعاد عن التيارات الوضعية، واللجوء الى الإسلام.
ومن مشايخ القرية الذين حفرت أسماؤهم في ذاكرة الإيمان، كان
الشيخ حسين البشيري...

من أوائل من التحق بالحوزة العلمية في النجف عام ١٩٥٧ تتلمذ
على يد السيد الخوئي والسيد محمد باقر الصدر، وكان وكيل المرجعية في
كركوك، صوته يهدير من على منبر مسجد الثقلين في تسعين، ومنبر
مسجد داقوق والطوز، وكان إذا خطب، استقامت القلوب... ينتقد
البعث صراحةً، دون مواربة.

أُعتقل مرتين، ثم أُفرج عنه بوساطة مدير الامن الذي تعاطف معه،
ونصحه بالخروج من العراق، فالتحق بالمعارضة في إيران.

كان مدير امن كركوك، رجلاً فاضلاً يتعاطف مع الإسلاميين، وينذرهم عندما تتوجه الأنظار اليهم، فلما عرفت السلطة بأمره اعتقلوه، وحكم عليه بالإعدام.

ولم تكف السلطة عن الشيخ حسين البشيري، فلاحقوه بابنه محمد، ذلك الشاب النحيل النقي، فباغتوه برصاصة اسقطته ارضاً، عندما حاول الهروب من قبضتهم، فاعتقلوه وعذب حتى استشهد بين ايديهم، فبكته القرية واهلها.

في أوائل السبعينات، لم يكن حزب البعث قد أحكم سيطرته بعد، وكانت الانتقادات توجه إليه علناً أو تلميحاً من على منابر المساجد أو في المجالس الخاصة.

كان والدي، رحمه الله، أحد أولئك الذين لم يخشوا قول الحقيقة، في الأماكن العامة أو بين ضيوفه الذين يزورونه في البيت، وبعضهم يشاركه الرأي، وبعضهم الآخر له ارتباط بحزب البعث بشكل مباشر أو غير مباشر.

كنت آنذاك فتى صغيراً، أقوم بخدمتهم، أقدم الماء والشاي، وأرتب لهم الطعام إذا حلّ وقت الغداء أو العشاء. لكن ما كنت أسمعه منهم كان أكثر ما يملأ قلبي وعقلي.

كان والذي ينتقد حزب البعث بشدة، ويستشهد بالآية الكريمة:

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ

ويكرر أن ميشيل عفلق، مؤسس الحزب، أبوه يهودي وأمه نصرانية، وقد أراد بهذا الحزب أن يهدم الإسلام من داخله. ويضيف قائلاً: ليس حزب البعث وحده، بل كل الأحزاب الوضعية ضلالة، ثم يقرأ:

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

كبرت وهذه الأفكار انطبعت في أعماقي، وأصبحت أرى البعثيين أعداء للدين، ولا يمكن أن أكون يوماً منهم.

استاذي نوري كرم قاسم ... ودار المعلمين

أكملت دراستي الابتدائية والمتوسطة في قرיתי بشير، ونجحت في الامتحان الوزاري بفرح لا يوصف.

بدأنا نحن الطلاب، نناقش مستقبلنا الدراسي. بعضهم قرر الذهاب إلى الإعدادية العلمية، وآخرون نحو الأدبية أو الصناعة، واثان من أصدقائي قررا التقديم إلى معهد المعلمين. التقيت بهما أكثر من مرة وقالا لي: أنت وحيد والدك، وهو مريض ويحتاجك، والمعهد مناسب لك، يمنحك ثلاثين دينار شهرياً

وعقب الآخر: لكن رضا ليس بعثياً، والمعهد لا يقبل إلا البعثيين! اجابه زميلنا: فلينتم الآن.

رفضت، وقلت: لن أنتمي، لا اليوم ولا غداً.

ورحت أحدثهما بما كنت أسمعه من أبي.

حدثني أحدهما وكأنه ينصحني:

- انتم بالاسم فقط، وابقَ كارها لهم في قلبك مثلنا.

بقي الحديث يتكرر بيننا حتى بدأت أتردد وأتزعرع في لحظة من غفلة، واتفقنا مبدئياً، لكن قلبي ظل غير مطمئن.

عقب صديق كان معنا:

- حتى لو ينتمي الآن لا يُقبل، لأنه يجب أن يكون قد انتمى قبل سنتين.

فأجابه الآخر:

- أحد أقارب رضا مسؤول مقر الحزب، يمكنه تدبير الأمر. وافترقنا... وعدت إلى البيت مشتت الذهن، تفكيري غائم. سألتني أمي:

- ما بك، يا ولدي؟

فقلت: لا شيء.

قالت بحنان الأم:

- قلب الأم لا يكذب...

لكنني لم أخبرها بشيء.

أعددتُ صورتين كما طلبا مني، وفي طريقي إلى بيت قريبي التقيتُ
أستاذنا نوري كرم، الذي كانت بيني وبينه علاقة طيبة. سلّمت عليه،
فبادرني بالسؤال:

- إلى أين تتجه؟ الإعدادية أم الصناعة؟

قلت له مازحاً:

- أبي يقول: أنا فلاح وأحتاج مساعدتك دوماً... اذهب
للصناعة لا تحتاج إلى كثير من الدراسة.

فقال:

- وأنت، ماذا قررت؟

قلت:

- اتفقت مع اثنين من أصدقائي أن نذهب إلى دار المعلمين.

تغيّر وجهه، وقال بصوت مرتفع:

- لكنك لست بعثياً ولا عضواً في اتحاد الطلبة!

قلت:

- سأنتمي الآن...

احمر وجهه، وقال لي بصوت فيه تحذير وأبوة:

- اسمع يا رضا... إن انتميت إلى الحزب وذهبت إلى معهد

المعلمين، فكل راتبك سيكون حراماً... حتى راتب التقاعد!

هزني كلامه، كأنها صفة أيقظتني من حلم مرعب.

قلتُ له: أستاذ اعدك اني لن أنتمي أبداً، وسأذهب إلى الصناعة كما

أراد أبي. فقال:

- الإعدادية أفضل، ومستقبلك سيكون أوسع، لكن القرار

لك... وإياك أن تبوح لأحد بما جرى بيننا.

فهمت من لهجته أن المسألة أخطر مما تصورت.

كان الأستاذ نوري كرم، يدرسنا اللغة العربية، يتحدث فتُصغي له

القلوب قبل الآذان، كان الإيمان في صوته، وعيون الشباب ترى فيه

قدوة لا تتكرر، لذا... خافه البعثيون خافوه كما خافوا السيد الصدر،

أحاطوه، راقبوه، ضيقوا عليه الخناق، حتى ذات يوم... اختفى،

اعتقلوه، ولم يعد له أثر، ساد المدرسة الحزن، وماتت الضحكة في عيون

الطلبة!

وسألت نفسي: هل صار مجرد الإيمان تهمة؟ هل أصبح المعلم
خطراً؟

ذهبت إلى إعدادية صناعة التأمين، وكان فيها قسمان: الكهرباء
والإلكترون.

وجدت ان قسم الكهرباء اكتفى بالطلبة الذين سجلوا قبلي ولم
يقبلوني، فالتجأت الى قسم الإلكتروني، وعدت إلى البيت حزيناً، لاني لم
احقق رغبتني، وما اتفقتُ به مع والدي.

وعندما سمع ابي ذلك، أمرني بالذهاب إلى أستاذ محمد في التربية،
وسيتولى نقلك، وبالفعل تم نقلي إلى قسم الكهرباء، وأكملت الصف
الأول والثاني، ولم يعرف أحد إن كنت بعثياً أم لا.

ذات مرة، سألني زميل اسمه ضياء:

- دفعت الاشتراك الحزبي؟

فقاطعته زميلتنا كولر ضاحكة:

- رضا ليس بعثي!

بعد امتحانات نصف السنة، كنت أنتظر السيارة في القرية، فمرّ بي أحد الرفاق البعثيين، وسألني عن اسم مدير المدرسة. قلت: أستاذ عارف صالح

فقال: هذا صديقي، سأرسل له رسالة معك.

كنتُ أبغض هذا البعثي الرفيق، وكارهاً أن أحمل عنه رسالة.

لكنه اصر على الكتابة، وسلمني إياها قائلاً:

- قل له إنك ابن أختي.

لم أكن أعرف ما في الرسالة... قدمتها للمدير، وبعد نصف ساعة

نودي اسمي عبر مكبر الصوت:

- الطالب رضا عباس، إلى مكتب المدير!

استقبلني بحفاوة، وقال:

- أنت طالب جيد، وابن عمك رفيق، وخالك رفيق، لماذا لم

تنضم للحزب؟

أدركت حينها ما كتبه في الرسالة.

- قلت له بهدوء:

- السيد الرئيس يقول: الطالب الجيد هو البعثي الجيد.

لكنه أصرّ، وكان يستدعيني كل يومين، حتى نشب بيننا نقاش، وفي آخر لقاء صرخ في وجهي:

- من قال لك لا تنتمي؟!

فأجبت:

- الله سبحانه وتعالى...

وقف غاضباً، وضرب يديه على المنضدة:

- أين قال الله هذا؟!

أشرت إلى المصحف على مكتبه وقرأت:

لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ

ثم أضفت: ميشيل عفلق أمه نصرانية وأبوه يهودي.

فصرخ، وضغط على زر الجرس، وجاء أحد المعلمين ومعه طالب،

وقال:

- احبسوه في غرفة المخزن... سنبلغ الأجهزة الأمنية.

أخذت عنوة إلى غرفة مخزن مملوءة بالأتربة، السبورات المكسورة، والرحلات المحطّمة. ومن النافذة كنت أراقب الطلاب يمرون، وسمعت أحدهم يقول:

- وضع منشوراً أمام مكتب المدير!

وهكذا انتشر الخبر كما يتخيله الناس، لا كما حدث.

مرّ احد الطلبة، وكان بيننا قرابة عائلية، فاستنجدت به، وذهب إلى خاله، مسؤول في الحزب، وعاد ومعه الخال وفي يده تنقلات المعلمين، وتحدث إلى المدير.

ثم اقتادوني إليه، فقال لي بنبرة قاسية ممزوجة بالنصح:

- هذه المرة نعتبرها غلطة لا تكررهما، وإلا سيكون مصيرك مجهولاً...

حين غاب الصدر ...

حين تناهى إلى مسامعنا خبر اعتقال السيد محمد باقر الصدر، لم
نصدق، انقبضت قلوبنا، ووجمت وجوهنا وكأن الأرض توقفت لحظة،
قلنا: لا... مستحيل... الصدر لا يُعدم!

ولكن النظام الذي يخشى الكلمة، لا يرحم من يزرع الوعي في
العقول.

كنا في المرحلة الأخيرة من دراستنا في إعدادية الصناعة في كركوك،
أنا وعدنان صابر ومهدي مروان.

أغلقتنا دفاترنا، وعاد كل منا إلى داره... ليس هروباً من الدرس، بل
من جرح لا يُطاق...

عاد إلينا الحزن، وعيوننا تطفح بالغصة، دخلت البيت، فرأيتُ
والدي جالساً، كانت نظراته غارقة في عمق لا يُجد، كأنها يقرأ في وجهي
كل ما كنت أودّ قوله.

ووجدت أُمي صامئة... يديها لا تفارقان المسبحة، وكأنها تَرجو الله
أن لا يكون الخبر صحيحاً.

اقترب مني والدي وهمس بصوت منهك:
يا ولدي... احذر، لا تتكلم بالسياسة بين الناس... لا تُظهر
حزنك، فالعيون تراقبنا، والاذان تحيطنا في كل مكان.
ورغم افتقارنا لفنون العمل السري، كنا نحاول أن نُبقي شعلة
الطريق الذي رسمه الصدر حيّة.

نلتقي بعيداً عن العيون، نتذاكر أقوال الشهداء، نقرأ وصاياهم
وكانها زاد الطريق، حدثني صديقي إسماعيل مرةً عن السيد باقر الصدر
قوله:

أن الثورة تحتاج دماً كبيراً مثل دمي... فقررت الشهادة.
وكانت هذه الكلمات تنخر فينا الصمت، وتبعث فينا التحدي
والثورة... توقاً إلى الشهادة.

كنا نسمع عن الاعتقالات في بغداد والبصرة وكربلاء والنجف،
وعن شخصيات كثيرة من أهلنا في بشير وتازة والتسعين وداقوق بدأت

تختفي فجأة، بين معتقل في غياهب الأمن، او مهاجر هرب من مصير مظلم.

واشتدت قبضة السلطة، وانتشرت عيون المخبّرين في كل زاوية، الهمسات تُفسّر، الشك بات كافياً للاعتقال، والنظرة تكفي لليل طويل في الزنزانة، استحدثوا فرعاً لشرطة الأمن في كركوك، جاؤوا بمدير غريب عن المدينة، كأنه غريب عن الرحمة، وأحاطوا القرية بسيطرة تفتيش، وكان (بشير) باتت بركان خطر يتهدد النظام.

أول من غاب عن بشير أربعة شباب... لم يعودوا حتى اليوم. صار الليل موعداً للمداهمات، يُقتاد الشاب من بيته أمام أمه، أمام أبيه، دون خجل، دون رحمة، كأنهم يأخذون شاة للذبح... وبعضنا لم يُرَ بعدها أبداً.

كان أهل القرية، حتى كبار السن، يرجفون حين يرون سيارة اللاندكروز فهي لا تجلب إلا الحزن، لا تحمل إلا الذلّ، صار المسجد شبهة، ومن لا ينتمي لحزب البعث صار موضع اتهام، والكلمة الوحيدة التي لم تعد تعني ما كانت تعنيه هي: أمن!...

فقد صارت تعني الخوف، التعذيب، الصراخ، و... الموت.

بعض أبناء القرية انجرفوا مع السلطة، وشاركوا في التنكيل بأهلهم،
فانكمش الناس عن الحضور الى المجالس العامة في المسجد، واقام
بعضهم مجالس العزاء في بيته حذراً وخوفاً من عيون السلطة.
وأضحت القرية الوديعه الهادئة ثكنة عسكرية للحزب، لا يأمن فيها
أهلها على حياتهم، ورغم كل ذلك... لم نخضع، ولم يفت من عزيمة
الشخصيات الدينية والاجتماعية.

من هنا بدأت رحلتي...

من الصمت إلى الزنزانة، من الحقل إلى قاعة التحقيق، ومن البساطة
إلى الوجد... لكنني ما زلت أذكر رغم كل شيء، أنني ابن بشير...
وابن الفلاح...

شهداء القرية

كان في القرية رجال لا تضعف عزيمتهم، منهم الأستاذ شكر صفر، رجل بحجم مدينة، حكيماً في دعوته، معلماً أحبه الطلبة قبل أن يعرفوا حروف الأبجدية، استطاع بلطفه وبصيرته أن يبني جسوراً حتى مع عدوّه، وكان مدير أمن كركوك أحدهم...

أنقذه مرتين من قبضة الموت، ثم همس في أذنه ذات مساء: (اخرج من العراق... فهم يضمرون لك الموت)

ففرّ بدينه إلى سوريا، رافضاً أن يكون جندياً في جيش يقتل أهله، وهناك التحق بالحوزة، ثم صفوف المعارضة، ولم يتراجع.

ومثل أخيه كان كريم صفر، يحمل في صوته غضب السماء، صلب في قول الحق مهما كان الثمن وفي قلبه خرائط الحلم والحرية، له حضور وتأثير في نفوس الشباب، فصار لهم قدوة كان البعثيون يتحاشون النظر في عينيه، لا لأنه كان يحمل سلاحاً، بل لأنه كان يحمل حقاً.

ومع ذلك، دسوا إليه الخيانة في كف السلام، واعتقلوه بمكر
الذئاب، وألقوه في أقبية الظلام.

قال لهم بكل تحد:

(خريطة التنظيم في صدري... وانتزعوها إن استطعتم)

تمكن الهروب من أيديهم، إلا أن القضبان حالت دون التخلص من
جلاديه، فعادوا إليه وكبلوه، وحفروا لحم رجله بالمشقاب، وسكبوا على
جسده التيزاب... حتى سالت الأوجاع من كل ثنية في روحه.

لكن كريم لم ينكسر، لم يُدلِ باسم، ولم يبع أحداً، فحكموا عليه
بالإعدام... لم يمُت، لكنه خُلد.

وجوه لا تموت... شهداء أحياء في ذاكرة الأرض، لم تكن الأسماء في
بشير مجرد حروف تُلفظ، بل كانت أرواحاً تمشي على الأرض... تتوضأ
بالعقيدة، وتتنفس بالشجاعة.

ومن الشباب مظفر زين العابدين، طالب في كلية الهندسة المعمارية،
شاباً امتاز بالذكاء الحاد يغطي وجهه الخجل، اعتقل خلال حملة

الاعتقالات العشوائية، التي طالت كل من حمل في قلبه حب آل محمد
(ص).

غابت عنا وجوههم... لكن بقيت أسماؤهم، نحفظها كأنها سور من
القرآن، نتلوها خفية... نخفيها بين دفاترنا، ونرددّها في قلوبنا، لأننا كنا
نؤمن أنهم لم يموتوا، بل صاروا جذوراً في أرض بشير، تنبت كرامة...
وتنرف عزة.

كنت أستحضر تلك الوجوه، فتقلب القيود إلى أجنحة، والجدران
إلى بوابة للسماء.

بدأ كل شيء في تموز سنة ١٩٨١ في شهر الله... شهر رمضان. كنا
صياماً، والقرية تغفو على حرارة الصيف، لكن ما كان يوقظها ليس
الأذان، بل طرقات الأحذية العسكرية التي أخذت تدوس أبواب
البيوت فجراً، تنزع النوم من العيون، والطمأنينة من القلوب.

أكملت امتحاني الوزاري، لكن فرح النجاح لم يولد، فقد خيم على
قريتنا ظل داكن، كأن لهيباً يسري بين الأزقة، من دارٍ إلى دار، كأن جهنم

خرجت تطوف حاراتنا. كان الناس مذهولين وجلين، يهمسون ويتلفتون. بطيبة قلب وعفوية بريئة كانوا يقولون: ربما يعتقلونهم لينظّموهم في الحزب، ثم يُفرج عنهم، فمعظم المعتقلين كانوا شباباً طيبين، معلمين نبلاء، لا علاقة لهم بالسياسة ولا بالحق.

ذات مرة سلمني إسماعيل صابر عدد من مجلة (الشهيد) سراً، وحذرنى أن يراها أحد، فكنت أخرج من القرية إلى البراري، حيث لا جدران ولا شهود، وأقرأها بين سنابل الحنطة، ثم أخفيها تحت التراب، كما تُخفى الذخيرة بين الرمال. كانت مواضيع المجلة تتحدث عن التضحية والجهاد ومنزلة الشهيد، وأولئك الذين صمدوا تحت التعذيب، وماتوا دون أن يبوحوا بسرّاً.

وبعد أن طالت الاعتقالات أبناء قريتنا، شعرنا أنه لا يكفي أن نُصلي وندعو، كان لا بد أن نفعل شيئاً... فاتفقنا على توزيع منشورات.

وقع الاختيار عليّ، كنت صغير السنّ، سريع الخطى، فكانت مهمتي أن أقفز من سور المدرسة أثناء الاستراحة، وأركض نحو السوق العصري، (سوق صياغة الذهب) المجاور للمدرسة، وأرمي المنشورات

من جهة شارع الأطلس، وأخرج من الباب المقابل، حيث تقع كازينو
المجيدية، أقدم مقهى في كركوك.

كلمات إسماعيل صابر كانت ترنّ في أذني: كن حذراً، فالعين في كل
شارع، وفي كل زاوية، وإن اعتقلت، فلا تذكر أحداً منا، ولا تعترف،
فالعذاب هناك لا يُطاق.

ارعبني تحذير إسماعيل صابر، وشلّ اندفاعي، فلم افلح في مهمتي،
كنت أشعر أن العيون كلها تلاحقني، كل وجه قابلته ظننته رجل أمن
أو وكيلاً.

جمعت ما بيدي من منشورات، ووضعتها بخفة قرب عمود خرسانة
أمام محل صياغة، وعدت مسرعاً إلى المدرسة.

تأخرت قليلاً عن الدرس، وكان المدرّس، مصرياً اسمه آغا
دسوقي، رجلاً طيباً، سمح لي بالدخول دون سؤال.

عند الاستراحة الثانية، عدت أراقب المكان من بعيد. رأيت الرزمة
كما هي، لم تُمس، وظلّت على حالها حتى انتهى الدرس الأخير... وفي
اليوم التالي اختفت، لا أدري من أخذها، ولا إلى أين ذهبت.

خلال التحقيق لاحقاً، لم أتحدث عنها، ولا الشهيدين عدنان صابر
أو مهدي مردان، ذكروا سيرة تلك المنشورات. كنا نعتقد أن الحديث
عنها أشد خطراً من الاعتراف بالانتماء لحزب الدعوة، فقد كانت
التجربة غائبة، والخوف حاضراً.

كنت أراقب المشهد يتأزم يوماً بعد يوم، والشعور داخلي يزداد ثقلًا:
سيعتقلونني... اليوم، أو غداً، أو بعد غد. لذا قلت لأمي ذات مساء:
أماه، إن اعتقلوني، فاصبري. لا تبكي، فطريقنا طريق الإمام الحسين
(ع) طريق البلاء والصبر والخلود. اصبري، وكوني مع الله، فالدنيا دار
امتحان، والآخرة دار قرار.

هكذا كنت أحاول، وأنا الفتى الغرّ، أن أهيب قلب أُمي، قبل أن
يُنتزع منها.

في اليوم التالي، قررت أن أذهب لاستلام وثيقة الامتحان، لكنني
سمعت أبي وأمي يتشاوران بصمت داخل الغرفة، وأنا خارجها،
أتنصت من خلف النافذة المطلة على فناء دارنا.

سمعت أبي يأمرها: قولي له ان يذهب إلى بيت ابن عمّه في
اليوسفية... ويبقى هناك حتى تهدأ الأمور.

ثم قالت لي أُمِّي برقة الأمومة: اذهب غداً، استلم الوثيقة، واقصد
الإمامين الكاظمين (ع)، ثم اذهب إلى بيت ابن عمك. ابقَ هناك
أسبوعاً أو عشرة أيام، ثم زر كربلاء والنجف... لا تعد حتى يأتيك
والدك.

فعلت كما قالوا. زرت الإمامين، ومن بعدها وصلت اليوسفية، عند
ابن عمي وكان موظفاً في التصنيع العسكري، ولأول مرة اشعر ان
المكان يضيق بي، والدنيا تحاصرني.

بعدها قصدتُ الإمام علي والإمام الحسين وأخيه أبي الفضل
العباس (ع)... كنت هناك، روعي معلقة بين الخوف والخشوع.
في تلك الأيام، اقتحم رجال الأمن دارنا يبحثون عني. هددوا أبي
بالاعتقال إن لم يجدوني خلال يومين.

كنت لا أعلم شيئاً مما يجري، فقد كنت في بيت ابن عمي. لكن بعد
يومين أو ثلاثة، جاء أبي إليّ.

كان مرهقاً، متعباً، كأن الحزن سكب على وجهه سكباً.
قال وهو يحاول ان لا يسمعني: جئت أشتري (تركتري) من
الإسكندرية... لكنني عرفت أن شيئاً يؤلمه. سمعته يحدث ابن عمي:

اقتحموا دارنا، بحثوا عن رضا، وهددوني، وأسمعوني كلمات
جارحة...

لقد اعتقلوا أكثر من سبعين شاباً من بشير! وكانت زوجة ابن عمي
تسمعهم فقالت: لماذا لم يعتقلوا اخي؟ فهو لا يتدخل بالسياسة! وكأنها
ارادت ان تجعلني متهماً! لكن المفاجأة حين اعتقلوني وجدت اخاها
معتقلاً قبلي وهي لا تدري!

اقرب ابي مني وهمس في اذني:

بني رضا: إن كان عندك شيء... أخبرني. لدي معارف، سأرسلك
إلى اقاربنا في الخالص، عندهم بستان فيه دار، ستختبئ هناك، ولن
يعرف بك أحد.

قلت له: لا شيء عندي يا أبي.

لكن في داخلي كنت أعرف... إن لم أذهب معهم، سيعتقلونه، وربما
يعذبونه، كما فعلوا بأبٍ آخر حتى مات كمداً بعد فقدان ولده.

شعرت أنني خنجرٌ مغروس في ظهر أبي. قلت لنفسِي: إن كان ألي
سيريح أبي، فليكن، سأعود وأعتقل، ولتأخذني أيديهم، ولا يُهان أبي
لأجلي.

عدت مع أبي... وعند مشارف ناحية تازة، نزلنا من السيارة وسرنا
في طريق ترابي نحو المدينة. لم نكن نعلم أن هذا الطريق هو طريق الفقد،
طريق الذل، طريق الفراق الطويل.

عند مدخل الناحية، كانت هناك سيطرة جديدة. أحدهم، ملثم،
أشار إليهم. ناداني:

-أنت رضا عباس؟

قلت: نعم.

فانقضوا عليّ، سحلوني أمام أبي، ودفعوه حتى سقط أرضاً.
وهكذا، بدأت رحلتي... من أمن تازة إلى كركوك... من شمس
القرية إلى ظلمة الزنزانة... من أم تبكي في محراب الليل، إلى حفلة
تعذيب لا تنتهي.

محطة امن كركوك

في الهزيع الأخير من الليل، حيث السكون يخنق الأنفاس، ركلني أحدهم بحذاءه العسكري ركلة موجهة على بطني وهو يصيح: قم! ثم أمسكني مع آخرين ورموني في سيارة (لاندكروز) فوقعت على أجساد لشباب تتراكم فوقهم آثار التعذيب، لا تسمع لهم صوت إلا أنفاس مكتومة، وتفوح من أجسادهم رائحة الخوف والصبر. جلست أنظر إلى الظلام كأنه قبر يتحرك. وصلنا إلى بناية أمن كركوك، وكنت قد سمعت عن رعبها من المعتقلين الذين سبقونا. بناية قديمة رمادية، كل شبر فيها مشبعٌ برائحة الدم والعرق والخوف، تتكون من طابقين، الطابق الأرضي ويحتوي على قاعة كبيرة، مع غرف صغيرة صغيرة مساحة كل منها (١×٢) م منها غرفة المدير، وأخرى للتحقيق وزنزانة صغيرة للارهاب النفسي، اما السرداب فهو قاعة كبيرة تحت الأرض، يحشر فيه المعتقلون،

أحسست أني أنفصل عن الدنيا، عن أمي وأبي، عن القرية، عن زرع
الحنطة، عن أصوات المؤذنين، حتى عن نفسي.
أنزلونا وصفونا صفاً كأننا في طابور للموت. وقف أحدهم وبدأ
ينادي بأسماء المعتقلين، اسماً تلو الآخر، ومن يذكر اسمه يركض فوراً!
فلما نادى اسمي، ركضت وأنا معصوب العينين، لا أدري أين أضع
قدمي، غير أن يداً تمسكني من كتفي لتسحبني كالجثة الهامدة.
حتى شعرت فجأة بركلة عنيفة أسقطتني إلى أسفل، إلى
السرداب... إلى الجحيم الأرضي.
فتحت عيني على قاعة واسعة مكتظة بالبشر، شباب وشيوخ،
وجوههم شاحبة وأجسادهم مثقلة بالتعب والعذاب. وعرفت فيما بعد
أن هذه القاعة كانت ملهى ليلي للدعارة والغناء، ثم تحول إلى سرداب
للتعذيب والموت.
وكان ملازم حسين كلما نزل إلى السرداب، يكرر وصيته على شرطة
الامن بلهجة ساخرة (دير بالكم على الجماعة داروهم ... احنا رحمناهم
ما جنبنا نسوانهم

وخلال بقائي في السرداب، كنت اسمع أسماء أصدقائي واساتذتي،
يقودونهم الى التحقيق، ثم يركلونهم من الأعلى، فيسقطون محطمين، لا
نسمع منهم الا الآهات والالنين.

كان امام المعتقل خيارين، اما الموت او الاعتراف، وفي وصايا
للأجهزة الأمنية، خوّل صدام حسين المحققين بقتل ١٠٪ من المعتقلين.
وبينما أنا هناك، وقعت عيني خلسة على شاب عرفته... عرفته جيداً.
كان بيني وبينه جدال في عام ١٩٨٠، حين تناول على الإمام الخميني،
فقاطعته، لا شيء إلا لأن قلبي كان يقدر قائد الثورة.

لم أكن أعلم وقتها... أنه يعمل في شرطة الأمن! وها هو الآن فوق
رأسي، لا كرفيق زنزانة، بل جلاد في زي شرطة الأمن. عرفني فوراً،
سحبني من ثوبي وقال: انظروا يا سجناء... إذا أنتم لستم من حزب
الدعوة، فهذا دعوة قديم! لقد رفض ان يأكل في بيتي لانني شتمتُ
الخميني، ثم هوى عليّ بالكييل على كتفي، قبل أن يأمرني بالجلوس.

وراحت عيوني تفتش في زوايا القاعة، حتى وقعت على احد اقاربي،
وهو الأستاذ عبدالله عزيز المراغالي الذي فقدناه منذ مدة طويلة، لقد
اقتلعوا أظافر يديه جميعاً! اقترب مني وهمس في أذني بصوت خافت:

كن رجلاً واجعل الصبر سلاحك.. إذا حققوا معك ... لا تعترف
على أحد، فقط قل ما قاله المخبر الأمني عنك، فهم لا يصدقون إلا
تقاريرهم.

بعد عشرة أيام، نادوا باسمي. كانت عيناى لا تزال معصوبتين،
أخذوني إلى غرفة التحقيق، أجلسوني على كرسي، وفتحوا عصابة عيني،
فإذا برجل وسيم، يرتدي بدلة زرقاء فاتحة يُدعى ملازم حسين، ومعه
المفوض عماد. لا أدري إن كانت أسماؤهم حقيقية أم مستعارة.

بدا هادئاً رزناً، قلت في نفسي لعله لا يدري ما يجري علينا في
السرداب! كان أمامه طبق دجاج مشوي وآخر بالأرز والمرق، وكنا
نتضور جوعاً، طلب تغيير الطبق لأنه بارد، رغم أن البخار يتصاعد
منه.

التفت إليّ وقال:

ابني رضا، لا تتعبنا ولا نتعبك. من فعل بك؟
قالها بكلمة فاحشة، لم أتوقعها من رجلٍ بمظهره، وكنتُ حينها لا
أتقن العربية!

صُدمت. قلت له: سيدي، وداعتك لم يفعل بي أحد شيئاً!

وما كدت أنهي الجملة حتى ضربني بالدونكي على كتفي، صارخاً:
أنا مو راس بصل حتى تحلف بي!
ثم أمر بتعليقي إلى السقف، وسمعت أصوات تقول:
سوي ظهره كونية!

فأنهالوا عليّ بالكييلات، حتى فقدت الوعي ولم اعلم كم مضى من
الوقت، ولكن حين أفقت، كان رأسي في حضن أحدهم، يشممني قطناً
مبللاً برائحة ثقيلة، عرفت لاحقاً أنها مادة غازية لإيقاظي، استغربت،
قلت في نفسي:

يعذبونني هناك وهذا يضع رأسي في حجره يداريني!
لكن صدمتي كانت عندما رأيت الأستاذ (هـ) يقول:
أنا مسؤول رضا، وهو في حلقتي واسمه الحركي أبو زينب، وهو
مسؤول الثقافة والتوعية.

فقال لي ملازم حسين:
ولك أنت مسؤول الثقافة والتوعية؟! أريد منك عشرة أسماء، كم
واحد علّمتهم الصلاة ودين الخميني؟

كنت أتمزق من الداخل، لا لأنني اعذب، بل لأنني أخشى أن اذكر
أسماء ابرياء وأنا السبب.

أعادوني إلى السرداب، اقترب مني صديقي عيسى فاضل، همس لي:
"حاول ان تبتعد عن قضية الاستاذ ... ولا تعترف على من بالخارج.
فخطرت لي فكرة، أن أذكر أسماء لأشخاص، إما هربوا الى خارج
العراق، أو انهم اعتقلوا وانتهى تحقيقهم.

وحين أخذوني للمغاسل، رأيت قورخماز علي صالح وهو شاب من
قريتنا، كان جسده محروقاً، مؤخرته تنزف، والديدان تتلوى في لحمها...
لقد وضعوه فوق مدفأة نفطية، وأمر الملازم حسين أن يظل جالساً
عليها، الا ان الملازم تظاهر بالنوم، وقورخماز يصرخ حتى أغمي عليه.
والشرطة ينتظرون امر الملازم، لا يحركون ساكناً، بل هم آلات
تعذيب بزي رسمي، فلما افاق قال:

(كواويد)^(١)! نزلوه من المدفأة! ودفعها بقدمه فانقلبت وانطفأت.

(١) - القواد : الذي يقود الرجال الى الفاحشة .

سألت: قورخماز

هل انتهيت من التحقيق؟

قال: نعم

قلت: هل يمكن ان اذكر اسمك على انك صديقي وعملنا معاً؟

قال: افعل ما تشاء... خلص نفسك.

وبعدها التقيت بشاب آخر هو سيف الدين ساجد^(١)، واعدتُ عليه

ما سألتُ به قورخماز!

قال: أخشى ان يعيدوا تعذيبى.

طمأنته:

بما أنك معترف... ما يعذبونك.

بعد يومين، اقتادوني مجدداً للتحقيق.

قال لي ملازم حسين:

عليك اعتراف، وأنا أملك صلاحية أعذبك حتى الموت!

(١) - أطلق سراح سيف الدين ساجد لصغر سنه، وبعدها التحق بالخدمة العسكرية وسيق الى جبهات القتال، وفقد في احدى المعارك.

ثم علقوني، وربطوا حبلاً رفيعاً بعضو التناسل، ومدوه إلى طابوقة،
ثم وصلوا جسمي بالكهرباء...

كلما اهتز جسدي، سُحب عضوي التناسلي بقوة.

صرخت من الألم، فانهالوا عليّ بالكييلات.

استسلمت، قلت: مسؤولي عزيز.

قال: ومن معك؟

قلت: لا أحد.

قال: اضربوه!

فقلت تحت التعذيب: قورخماز وسيف الدين معي.

سجلوا الأسماء الثلاثة واكتفوا بهم، وأمر ملازم حسين أن يكتبوا
إفادتي (كسبني إلى حزب الدعوة العميل عزيز وعلمني الصلاة
والصوم، وقال لي سنقيم ثورة إسلامية في العراق كثورة الخميني في
إيران) ثم ساقني للتوقيع فوقعت).

وجهزوا قوة إلى بشير لاعتقال الثلاثة، لكن بعد أيام، اكتشفوا أن:
واحد خارج العراق، واثنان في قبضة أيديهم.

أعادوني إلى التحقيق، لكن التحقيق بالقضية قد اغلق، فضربوني ...
ثم أرجعوني إلى السرداب.
استمر التحقيق شهراً أو أكثر، ثم نقلونا إلى مركز شرطة البلدة في
ساحة الطيران بكركوك.
استخدموا معنا التهيب والترغيب، في انتزاع اعترافاتنا، وكان
آخرها قبل الوقوف بالمحكمة، خاطبنا ملازم حسين قائلاً:
انتم جميعاً محكومون بالإعدام، لكن من يتعاون معنا سوف نكتب
عنه تقريراً لشموله بعفو السيد الرئيس
المنشور في الجريدة، واخرج الجريدة من تحت ابطه، وقرأ قرار العفو
الموهوم
وتوالت الليالي هناك ... كنت اذوب مثل شمعة في كل ليلة، وأردد
في قلبي:
رضا، لا تحن وصايا أمك، ولا تحذل دم الحسين، اصبر، فإن الصبر
على الظلم شهادة.

ومرت خمسة شهور، ولم يكن لدي أي علم بأهلي، ولا عن القرية،
ولا عن والدي الذي رأيته يُطرح أرضاً يوم اعتقالي... هل هو بخير؟
هل سأمحني؟

هل كان يتمنى لو هربت ولم أرجع؟ أم كان يشعر انه كان سبباً في
وقوعي بيد الجلاد فيجلد نفسه؟

ذات مرة وكانت ليلة العيد مررتُ على الأستاذ (هـ)، وكانت آثار
التعذيب ما زالت عليه كأنها حفر حمراء فوق جسده، ظن أنني جئت
لأعاقبه.

لكنني قلت له: أستاذ، أنا أبرئ ذمتك، وإذا فرّج الله عني، سأطلب
من والدي ووالدتي أن يبرؤوا ذمتك. فابتسم والدمعة في عينه، ثم
ودعته، ولما علمت باستشهاده فيما بعد، دعوت الله له أن يحشره مع محمد
وآل محمد.

لقاء لا يُنسى... خالي في سرداب أمن كركوك

مرّت سبعة أشهر وأنا محشور بين الجدران الخرسانية في مديرية أمن
كركوك ومركز شرطة (البلدة) سبعة أشهر كأنها سبعون سنة من
الانتظار والعذاب...

وفي إحدى الليالي، كنت ملقى على أرضية السرداب، واهن الجسد،
محطم العافية، لا غطاء ولا فراش، لا شيء غير الظلام والرطوبة وأنين
السجناء.

كان باب المحجر صغيراً مفتوحاً، ولكن الباب الحديدي الخارجي
مغلق لا يُفتح إلا حين يأتي وقت الذهاب إلى التواليت.
وفجأة، ناداني ابن عمتي حسن من فتحة الباب بصوت خافت:
- خالك يسأل عنك... ينتظرك في باب المحجر
توقفت أنفاسي، وارتجف قلبي... خالي؟!!

أي خال؟ أين أنا وأين هو؟ لم أكن أعلم أنه معتقل! لم يخبرني أحد! لم أسمع حتى همسة عن وجوده هنا.

نهضت وأنا أجرّ جسدي المتعب، واقتربت من الفتحة، وإذا بخالي يقف في الزنزانة المجاورة... تبادلنا النظرات، كانت نظرات لهفة وذهول، سألته بخفوت:

- وين مكانك خالي؟

قال:

- بالزنزانة يمكنكم، كنت أدور عليك.

قلت له:

- ارجع لزنزانتك خالي، إذا شافك الحارس يضربك... لا تخليني أشوفك تتألم.

رجع، وبدأت أفكر كيف ألتقيه دون أن يراني أحد... خطرت ببالي حيلة.

عندما يحين وقت الذهاب إلى التواليت، لن أعود إلى محجري، بل سأتسلل إلى زنزانتة، وكأنني واحد منهم.

فنسّقنا الأمر مع بعض الإخوة، جاء أحدهم بدلاً عني إلى المحجر،
وذهبت أنا حيث خالي.

هناك، في تلك الزنزانة الكئيبة، التقينا... تعانقنا طويلاً، كأننا نحاول
أن نربط الزمن المنكسر.

بكى خالي بكاءً مرّاً... قلت له:

- خالي... متى اعتقلوك؟

قال:

- بعد اعتقالك بأربعة أشهر.

وسألته بصوت مخنوق:

- خالي... أمي؟ شنو صار بينها؟ أنا ولدها الوحيد... وأختي

الصغيرة؟ وأبي؟

حاول أن يخفي عني الجواب، لكن دموعه سبقت لسانه.

قلت له:

- سمعت إن أمي جنّت ومزقت ملابسها، صحيح؟

كان قلبي يحترق... أتخيل أمي تضرب وجهها وتنوح في عزّ الليل.

بكى خالي نحيباً سمعه السجناء، حتى قال له أحدهم:

- حجي، اهدأ شويه، نخاف يسمعنا الحارس وينفضح أمر رضا.
سكت قليلاً، لكن دموعه لم تتوقف، وأنا كذلك بكيت، لكن
بصمت، أخفّ منه، لا أريد أن أنهار.

حكى لي: ما جرى على أُمي وأبي، قال إن بيتنا صار بيت أحزان،
مراقبة من الرفاق، لا أحد يدخل ولا يخرج، وحتى الجدران صارت
تجسّ نبض الساكنين.

قال: إن قرية بشير كلّها كانت مراقبة، البيوت مطوّقة، السطوح
بدون جدران تفصل بينها، والرفاق ينامون على سطوح البيوت
المجاورة لبيوت المعتقلين، كأنهم غربان تراقب النحيب.
سألته:

- شلون اعتقلوك؟ ما أحد اخبرني عنك؟

قال:

- أخذوني للموصل، تحقيق في مديرية أمن نينوى... نفس اللي
صار وياكم.

بدأ يسرد حكايته، بصوت منخفض فيه انكسار:

- علقوني، ضربوني، فلقة، كيبلات، هراوات... حتى ادخلوني في غرفة، وقالوا اسمع، فتحت عيني، وإذا بي أرى شاب عاري معلق، يتلوى من الألم، اسمه (محمد فاضل)... ضربه ضابط التحقيق بالسوط قائلاً: ها هذا وياك؟

سكت (محمد فاضل)... ما جاب... ضربه ضربة أقوى، ما تحرك... نزلوه... ميت.

نظر إليّ خالي وقال:

- قالوا لي: بما انه مات... إذن أنت مكانه... وعلقوني، ربطوا على رجلي قنينة غاز مملوءة... ظلّوا يعذبوني حتى انخلع كتفي. بكيت وأنا أسمع... ان (محمد فاضل) حاول الانتحار مرتين... مرة أولى فشل، والمرة الثانية كسر قنينة زجاج وضرب بها وريده في التواليت... نزع كثيراً، لكن الحارس لحقه، أخذوه إلى المستشفى، عاجلوه، وواصلوا تعذيبه حتى مات تحت التحقيق... دون أن يعترف على أحد.

ثم همس لي خالي وكأنها يناجي روحه:

- استشهد محمد... صبراً... حشره الله مع محمد وآل محمد

حفلة العذاب

تتشابه اساليب التعذيب في كل مديريات الامن، لكنها تختلف
بالأدوات والتفنن، في ابتكار وسائل أكثر وحشية وأشدّ إذلالاً.

في مديرية أمن كركوك، كانت المدفأة النفطية، تُحوّل إلى كرسي
إحراق يُقعد عليه المعتقلون وهم عراة، وأحياناً كانوا يستخدمون قنينة
زجاجية (البيسي كولا) لإذلال المعتقلين بأشع الطرق.

في بعض المديريات الأخرى، كانوا يعذبون ذوي المعتقل أمام عينيه،
يُعلق الأب أو تُجرد الأخت من ملابسها ليُكسر قلب الشاب قبل أن
يُكسر جسده.

في سراديب مديرية أمن كركوك، رأيت ما لا يمكن أن يمحوه الزمن
من ذاكرتي، ولا يمكن لأي قلم أن يخطه دون أن ترتجف حروفه من
الذعر، كانت النار والانتهاك الجسدي، وتمزيق الكرامة البشرية حتى
فيمن لا يزالون في أول أعمارهم.

فخرالدين... وجه الطفولة يحترق

شاب صغير لم يتجاوز الخامسة عشرة، اسمه فخرالدين حميد شكر^(١)، من قرية بشير. لم ينبت في ذقنه شعرة، وكانت ملامحه ما تزال طفولية. أحضر معصوب العينين، مقيد اليدين، لا يدري ما الذي جاء به إلى هذا الجحيم، وحقارة ووحشية شرطة الأمن.

مدَّ أحد رجال الأمن يده إلى مؤخرته فصرخ فخرالدين رعباً!

ورد عليه بلغة عربية مكسرة مع براءة ابن الريف،

هذا شرف العراقيين! اتسوي هيجي؟ اشبيك؟

وصلت كلماته إلى قلب السجنان، كما تصل الطعنة إلى خاصرة الظالم

سمعه المفوض عماد، وقال باستهزاء:

"هذا منو يحجي عن الشرف؟

فاشار احد الشرطة الى فخر الدين.

(١) - أطلق سراح فخر الدين حميد لصغر سنه، وهو شقيق السجين السياسي

نورالدين حميد

وأمر المفوض بأن يُعرى تماماً، ويُقعد فوق المدفأة النفطية المشتعلة.
وبدأ الطفل يصرخ، ودموعه تنهمر، وينادي بكلمات من لغته الأم
التركية

ننه... بابا... لكن لا احد يسمع؟

لم تكن المدفأة تحرق جلده فقط، بل كانت تحرق صورة الطفولة في
ذهني، شعرتُ أن الطفولة في العراق تُجلد، تُحرق، وتُغتصب، لا شيء،
سوى أن تُطفئ نار الحقد الموروث في قلوب السجانيين. لم يكن
فخر الدين وحده يُعذب، بل كان يمثل جيلاً كاملاً يُسحق بصمت في
دهاليز السلطة.

ولأنه كان صغير السن، أطلقوا سراحه لاحقاً، واعتبروه من المغرر

٣٢٠

المعلم شكر حسن عسكر...

معلم بسيط، هادئ، اسمه شكر حسن. لم يسلم من العذاب، استخدموا معه الكهرباء، وضربوه فلقة وقلعوا أظافره، ثم جاء المفوض عماد، اجلسه على الكرسي عارياً تماماً، وشده بالحبل من صدره، واوثق يديه من الخلف ورجليه من الأسفل الى الكرسي، واخذ يضربه بالهراوة على ركبتيه (المفصل) دون توقف، والأستاذ شكر يتلوى ويصرخ إلى أن فقد وعيه، سحلوه إلى السرداب.

وبعد فترة عاد لوعيه، لكن شيئاً فيه قد انكسر.

يتحدث بكلمات غير واضحة، رغم ان الكلام ممنوع في السرداب، وصار ينادي بصوت عالٍ:

(ملا حيدر^(١))، قم استقبل رسول الله... الإمام الحسين جاي... أين

أنت يا حيدر؟)

(١)- ملا حيدر كرم عبدالله مواليد ١٩٣٠ (ضرير) قارئ القرآن، حكم عليه

بالإعدام مع ولده ذو الفقار، وعلى ولديه عوني وأمير بالسجن المؤبد

و ذات مرة بعد حفلة تعذيب شديدة، اصابته نوبة من الصراخ قائلاً:
لعن الله حزب البعث وعفلق، وكل بعثي باع نفسه لابن العاهرة
صدام الذي لا يعرف ابوه.

ولما سمعه الشرطي، هرب واقفل الأبواب، وهرب ليخبر الإدارة.
حضر ملازم حسين، ولما شاهد ما عليه أستاذ شكر، وسمع صياحه
والالفاظ التي يطلقها، تصنع الدهشة والاستغراب، وكأنه لا يعلم ما
جرى خاطب من حوله، من الشرطة وضباط التحقيق.
من فعل هذا بالأستاذ شكر؟ يا عديمي الشرف والضمير والمروءة،
الا اعاقبكم فرداً .. فرداً.

ثم امر باستدعاء الطبيب، الذي طيبه بالمسكنات حتى هجع الى
النوم.

لم نعلم إن كان يهذي من شدة الألم، أم أن الأرواح الطاهرة جاءت
فعلاً لتواسي قلبه الممزق،

أحسست أن الأرض ضاقت عليه، فنادى السماء، كانت صرخته
دعوة إلى الله.

صديقي عيسى فاضل

ما كنتُ ادري ان صديقي عيسى فاضل معنا في معتقل امن كركوك،
حتى التقينا معاً تحت التعذيب.
كان عيسى شاباً طموحاً، شديد الحرص على الدوام في ثانوية ...
التي كنا فيها.

عندما ادخل الى غرفة التحقيق، رفعوا العصا عن عينيه، فوجد
فيها رجلاً كبيراً، ذو شعر ابيض، يجلس على كرسي، ظنه مدير امن
كركوك، والى جانبه ملازم حسين، يمسك هراوة يلوح بها لمن دخل
عليهما.

سأله الرجل الاشيب، وكأنه ينصحه:
ابني عيسى: انت في السادس الاعدادي، ومستقبلك امامك،
اخبرني هل انت في حزب الدعوة؟
فأنكر ذلك، وقال: سيدي انا صغير، ولا اعرف حزب الدعوة.
قال: أليس هذا توقيعك؟

قال: سيدي .. توقيعي تحت التعذيب!
وقبل ان يكمل كلامه ... انهال عليه ملازم حسين بالهراوة حتى
سقط ارضاً.
وعاد الرجل ذو الشيبة البيضاء، يسأله الأسئلة نفسها، ويحييه
الإجابة نفسها، حتى اعادها ثلاث مرات.
نسمع في كل مرة، سياط الجلاد حسين تتلوى على جسد عيسى،
حتى اغمي عليه.
لكن عيسى ظل ثابتاً لا يتزعزع، وعندما افاق اقتاده الشرطي الى
السرداب بعنف قائلاً:
كيف تكذب على السيد المدير؟ وتوعده بالانتقام منه... ومرت
الأيام حتى شاهده ذلك الشرطي صباحاً، واقفاً في الطابور المصطف
للمرافق، فتقرب منه، وخاطبه: انت الذي كذبت على السيد المدير؟
فركله بقوة على مذاكيره، حتى طرحه ارضاً.

سمين خير الله ...

وئمة رجل كان في قرية بشير، اسمه سمين خير الله مرخان، تجاوز عمره الثلاثين، طويل القامة مفتول العضلات، ومن عائلة ملتزمة دينياً، ووالده يعمل بالفلاحة وتربية وبيع الحيوانات، كنتُ اراه في القرية، لكن منظره في مديرية امن كركوك جذب انتباهي.

اعتقل بنفس الفترة التي اعتقلنا فيها، وكان يرتدي ثوباً ابيضاً، لكن نزع الدم صبغه باللون الاحمر بعد التحقيق، ولصق على جسمه، كأنه سبوح بدمه، وامتلاً بالجروح والقروح والكدمات، من شدة التعذيب الذي تعرض له.

كانوا يأتون به، وكل جزء من جسده ملفوف بضمادة، والدم ينزف منه، لكنه كان ابن القرية التي غرست في نفسه الشموخ والعنفوان. كان مفوض عماد يطالبه بالاعتراف على مسدس كاتم في حوزته، وهو ينكر ذلك، هددته ان يجعل من ثوبه كفناً، اذا لم يعترف، لكنه اصر على كلمته.

كان صابراً متماسكاً، مما ازعج جلاديه، وجعل عماد يفقد سيطرته،
فتناول كرسيّاً حديديّاً كان بجانبه، وانهاه على سمين بما اوتي من قوة
حتى تكسر، واصبح سمين قطعة من الدم، ولم يكف عنه حتى اغمي
عليه.

سيق سمين خير الله مرخان الى المحكمة، وحكم عليه بالإعدام،
فمات واقفاً، والرضا ملء عينيه، وهو نهاية الابطال.

الصوت الذي اسمعه ... ولا ارى صاحبه

في غرفة التحقيق... كنتُ معصوب العينين، والخوف والرعب يملأ المكان، سمعتُ صوتاً اعرفه، لكن لم اتبين صاحبه، كان يقول:

- والله اني مو حزب دعوة!

فيرد عليه ضابط الامن:

- الله مجاز ..!

- والعباس، ما عندي علم

فيجيبه الآخر:

- العباس يحبك، هو جابك لهذا

وحتى يوقف التعذيب لحظة، صاح:

- وحق صدام، ما عندي علم سيدي!

فيأتي صوت الملازم حسين، ويصرخ بما لا يُصدّق:

- افعل كذا ب صدام وسجوده اعترف! إذا ما تعترف، أراويك

نجوم الظهر!

وأتبعها بسيل من الشتائم المهينة لصدام وزوجته
استغربت... لكن ايقنتُ ان ليس للطغيان ولاءً حقيقياً، فكل شيء
مباح، حين يكون الإنسان مرمياً تحت سياطهم.
ذات مرة اعتقلوا رجلاً أُمياً من قريننا، اسمه موسى جمعة، ولم اكن
اعرف اسمه آنذاك فقد كان يلقب موصل.
وسمعتة ينادي على مفوض الامن عماد، ان لديه معلومات يريد
الإدلاء بها.

فجاءه هذا وصحبه إلى الطابق الأرضي، وبعد اكثر من نصف ساعة
جاءوا به يسحلونه وقد انهمك جسده التعذيب ولا يقوى على الوقوف ،
حتى رموه بالقرب مني .

نظرت اليه فإذا هو ساكن لا يحرك شيء ، وبعد مدة نادى شرطي
الامن على اسم موسى، ولم يجبه احد وكرر النداء وليس من مجيب،
عندها جاء عماد وأخذ يركل الرجل المسجى بالقرب مني، ويضربه بقوة
وهو لا يتحرك، قلبه على قفاه، فعلق خميني فاطس، ولم اكن يومها
اعرف معنى فاطس، لكنني فهمت انه اسمه موسى وقد فارق الحياة .

وعلمتُ فيما بعد، السبب الذي دعاه إلى دعوة مفوض الامن واصطحابه.

ان موسى كان قد اعترف، نتيجة التعذيب على أربعة أشخاص، فطلب مواجهة الضابط وأنكرها قائلاً : انهم أبرياء ولا علاقة لهم بتنظيم حزب الدعوة .

مما أدى إلى غضب الضابط المحقق، فاراد ان ينتقم منه وضربه بقوة حتى قضى عليه.

وصدق من قال:

وكم من برئ في السجون يتألم وكم من مجرم في القصور يترنح

ابن عمتي ... حسن

ابن عمتي حسن عباس محمد ... شاب في السادس الإعدادي،
علقوه بالسقف عارياً، جلدوه بالكابلات، واستخدموا معه التعذيب
بالكهرباء.

لكنه ظل صابراً، ربطوا سلكاً بجهازه التناسلي وآخر بأذنه، وأداروا
مفتاح الفولتية بيدهم القدرة ...

صرخ حسن لكنه لم يستسلم، اقعدوه فوق المدفأة النفطية، لكنه
قاومهم وهو يتحرك يميناً وشمالاً، بلا هوادة، ومع الصراخ وصياح
الضابط انقلبت المدفأة، وانسكب ما فيها من النفط، فاشتعل فراش
الأرض.

فغضب الملازم حسين وفقد توازنه، وتناول عصا غليظة ضربه بها
حتى كُسرت ساقه، واغمي عليه

دفعوه من أعلى الدرج، تدرج جسده كخرقة الى قاعة السرداب.

واصبح حسن لا يقوى على القيام، فاذا نودي باسمه، ربطوا قدمه بحبل وسحلوه الى غرفة التحقيق في الطابق الأرضي، وعند العودة يركلونه بأقدامهم فيسقط متدحرجاً الى قاعة السرداب.

لم يكن حسن وحده يسقط على الدرج، بل كانت إنسانية هذا الوطن تتدحرج معه، واستمر الحال هكذا

في كل مرة كانوا يسحبونه بحبل الى غرفة التحقيق، ويركلونه باقدامهم إلى أسفل عند اعادته.

وفي إحدى المرات، جاء شرطي طيب القلب، وكان متعاطفاً مع المعتقلين، فهمس الى احد المعتقلين ان يحملوه الى القاعة، كي لا تطأه اقدام النازلين والصاعدين من رجال الامن، فيكون عرضة للاعتداء عليه.

لم نعدم الطيبة وطهارة النفس في كل من انتسب الى شرطة الامن، فهناك من تولدت في نفسه صحوة الضمير، فحاول ان يكفر عن مشاركته لافعالهم..

ومرة لاحظ هذا الشرطي، وقيل انه من اهل مدينة الثورة في بغداد، نؤدي الصلاة خفية، ومن جلوس، وانحرافنا عن اتجاه القبلة اثناء

الصلاة، فإشار إلى معتقل فقد عقله قائلاً بصوت مسموع وكأنه أراد ان
يسمعنا:

(تعال صلي... ولك القبلة هناك مو هنانا) وأشار إلى اتجاه القبلة.
وذات الشرطي امره مفوض عماد أن ينتقم من السيد ناظم محمد علي
قائلاً:

اضرب هذا الكلب ... امشي سبع خطوات وارجع اليه واضربه
مرة بعد اخرى، فتقدم وأخذ يضربه بخفة.

صرخ المفوض:

اضرب بقوة، مو هيچي!

قال الشرطي:

أنا أضرب هكذا

فقال له:

إذا قلبك رقيق حنين ليش جاي للامن؟ ثم عاقبه..

فايقنت أن الخير لا يموت

لكن اشد ما آلمني، ما حدث لصديق طفولتي ورفيق دربي، شاباً
وسيماً في مقتبل العمر، رأيتُه عارياً وقد احاطه الجلادون يعذبونه، منهم
من يرفسه بقدمه، وآخر يلسع ظهره بالسوط، وثالث بالهراوة، وهو
يلتفت يميناً وشمالاً، وعيونه تنظر في الفراغ، تطلب الرحمة من قلوب
قاسية.

اقعدوه على قنينة الزجاج، ثم ضغطوا على كتفيه، فلما اعياهم
طرحوه عارياً على الارض، لا تستره الا العفة والفضيلة في نفسه.
وامر الملازم حسين ان يرفعوا قدميه ويشنوها حتى تلتصق بوجهه،
لتكون مؤخرته مكشوفة امامهم، ثم طلب ان يأتوه بقنينة الويسكي
الزجاجية التي افرغها في جعبه تواء، وقام احد الشرطة بكسر فوهتها،
وادخالها في مؤخرة الضحية، وصديقي يصرخ من الألم، دون ان يسمعه
احد، ومفوض عماد يدفع بقدمه القنينة بقوة، حتى تمزقت اغشية
جسده، وغطته الدماء الى ان اغمي عليه وخفت صوته، وشحب وجهه،
وجبهته تتصبب عرقاً.

عقب ملازم حسين: لا اريده ان يموت، مالم يدلي بما عنده من معلومات، وخلال ذلك رشوا على وجهه الماء البارد، وشمموه مادة منعشة اعادت اليه وعيه.

خاطبه ملازم حسين ودخان سكارته تملأ فضاء الغرفة:

- ان تعترف خير لك... او تموت هكذا!
- اجابه صديقي بصوت خافت: والله كل الذي اعرفه... قلته لكم، ارحمني... الله يخلي امك..
- اذا تحب الله اطلق علي الرصاص وارحني... اعطني مسدسك وانا اقتل نفسي! لقد تعبْتُ.. لا اتحمل المزيد.
- كنتُ اسمع صوت صديقي، والخوف والرعب يملأ نفسي، خشية على حياته!

سحب ملازم حسين مسدسه من حزامه قائلاً: انا لا اقتلك... هذا المسدس فاقتل نفسك.

اخذ صديقي المسدس بيدٍ مرتجفة، تكبلها السلاسل والحديد، وقربها من صدغه، وضغط على الزناد.

لم يسمع صوت الطلقة، لكن سمعنا صوت ضغطة الزناد، قال
ملازم حسين:

كل عقلك اخليك تقتل نفسك، قبل ان تعترف!
ومنذ تلك اللحظة فقد صديقي السيطرة على خروجه، فيخرج الدم
مع الفضلات بلا إرادة.
لكن الله كان ارحم به، فاختره الى جواره، لينقذه من ايدي
المجرمين.

بعد أن انتهت التحقيقات، أخبرونا أن القاضي سيأتي، فاتفقنا أن
نخبره الحقيقة، ان افاداتنا انتزعت عنوة وبالإكراه ونريه آثار التعذيب
الظاهرة على اجسادنا

عندما جاء القاضي الى مديرية امن كركوك، للمصادقة على
الافادات، كان اول من صعد اليه ناظم محمد علي وحسن عباس محمد،
لكنهما لم يُدخلا إلى القاضي، بل دفعوهما إلى محجر طوله مترين وعرضه
متر واحد، ذات أرضية وجدران مملوءة بالمسامير، ذات الرؤوس المدببة
الحادة، التي لا يمكن الوقوف عليها، او الاتكاء، ولا الجلوس، فكل
حركة تعني طعنة، وبين مسمار وآخر بضع سنتمترات. كنا عراة، والألم

لا يوصف، وهناك على باب المحجر فتحة صغيرة، يتحدث معنا ضابط
التحقيق قائلاً:

إذا ما تعترفون أمام القاضي هذا مكانكم حتى الموت
صرخنا من الألم، ومن تكميم الافواه، فأطل علينا الضابط ثانية
وقال:

اصمتوا، وإلا أحرقكم في مكانكم!

عائلة الحاج صابر مهدي موسى^(١)

تعرضت كثير من العوائل الى التعذيب الجسدي والنفسي، وحوربت بسبب مواقف أبنائها فيعتقلوا ويعذبوا ويساقون الى الموت بجريرة احدهم.

ومن العوائل الملتزمة ذات الدين والالتزام عائلة الحاج صابر مهدي وابناءه.

كان الابن الكبير إسماعيل شاباً متديناً، وله تأثير على اخوانه وزملاءه، وكان عاملاً في الحركات الإسلامية كثيراً ما يحدثني عن الوقوف بوجه الاستبداد وينقل لي بعض المنشورات الورقية لتوزيعها ونشرها.

(١) - الحاج صابر مهدي موسى مواليد ١٩٢٩ اعتقل مع اولاده الاربعة عدنان وفائق وفائق ومهدي. حكم عليه مع ولده فائق بالسجن المؤبد، ومات هناك كمدأ، وحكم على عدنان بالإعدام.

فلما اشتدت قبضة السلطة، ومطاردة الإسلاميين التجأ إسماعيل الى
ايران خشية الاعتقال، لكن السلطة لاحقته في اخوانه، فاعتقلوا اخوانه
عدنان وفائق ومهدي واباهم الحاج صابر.

كان عدنان صديقي في المدرسة، ويقربني بسنين عمره، وكان شاباً
طموحاً، وكثيراً ما كان إسماعيل يكلفنا بنشاطات نقوم بها معاً.
طلبوا منه الاعتراف على شيء لا يعرفه، فعذب عذاباً شديداً، حتى
مزقوا جسمه، وحكم عليه بالاعدام.

واعتقل اخاه الاخر واسمه فائق، وكان صغير السن لا يتجاوز
عمره خمسة عشر سنة، وطلبوا منه ان يدهم على السلاح الذي كان يجلبه
لهم إسماعيل.

فأنكر ذلك وقال: انا صغير لا يشيرونني عما يعملون، لكن ذلك لم
يقنع ملازم حسين الذي امعن في تعذيبه، حتى لم يستطع تحملاً:
فاشار اليهم ان يكفوا كي يدهم على السلاح، أراد ان يريح جسمه
من الجحيم، ولما سألوه عن مكانه:

قال لهم في بيتنا، وهو يعلم، وملازم حسين يعلم انه لا يوجد في
البيت سلاحاً.

صحبوه الى الدار التي لا يوجد فيها غير امه واخواته، فإخوانه كلهم في المعتقل معه، وأشار اليهم الى زاوية من البيت اخبأ السلاح فيها، وبدأ البحث عنه بالحفر، لكنهم لم يجدوا شيئاً، فانهالوا عليه بالضرب والركل حتى ادموه امام والدته التي تنظر اليه.

وتحت التعذيب، قال ان السلاح في بيت اخته القريب وليس في بيتهم.

كانت اخته، قد اعتقل زوجها (محمد) مع أبناء القرية، ولجأ والدهم الحاج صابر مختفياً عن عيون السلطة في بيت ابنته، خشية الاعتقال.

ولما وصل شرطة الامن مع فائق الى الدار، كان الحاج صابر جالساً مع ابنه الصغير لا يدري ما يجري، فاستقبلهم وهم لا يعرفونه.

أشار فائق الى زاوية من الدار، على انها المكان الذي اخفى فيه السلاح، وبدأ الحفر مرة أخرى، ولم يجدوا شيئاً، فأمرهم ملازم حسين ان يدفنوا فائق في الحفرة.

لكن شقيق فائق الصغير الذي كان مع والده، استنجد بابيه ان ينقذ فائق من الموت خنقاً، فاستدل شرطة الامن على الحاج صابر فاعتقلوه، وحكم عليه بالموت قهراً على أولاده داخل السجن.

صرخة امي ... وشموخ ابي

لم أسمع من أبي يوماً عَمَّا جرى بعد اعتقالي، فكان رجلاً قليل الكلام، كثير الصبر، يدفن وجعه في صدره، ويحبس دمه في عينيه. لكن بعد وفاته، فتح لي صديقه صندوق الذكرى، وأخبرني بما دار ذات صباح من عام ١٩٨٢، بعد أن أصدرت محكمة الثورة أحكامها الصورية، دون محاكمة، دون دفاع ولا قانون. في ذلك الوقت، أرسل جهاز المنظمة الحزبية تبليغاً إلى ذوي المعتقلين والمعدومين، يطلب منهم الحضور صباح اليوم التالي الساعة التاسعة إلى مقر المنظمة. لكن أبي أخفى التبليغ عن أمي، خشية أن تنهار أو يغمى عليها، أو ربما تموت، فليس أصعب على الأم من أن تفقد ولدها. وفي الصباح، ارتدى أبي ملابسه، وانطلق وحده إلى مقر المنظمة الحزبية، كان بيتنا قريباً من هناك، وصوت مكبر الصوت يخترق الجدار والنافذة.

وقف المسؤول الحزبي أمام الناس، أغلبهم من قريتنا، وكلهم أهل
معتقل أو شهيد، وبدأ بمناداة الأسماء... الاسم يتلو الاسم، والعين
تتبع الصوت، والقلوب بين الضلوع تتقافز كالعصافير.
كلما نادى باسم معتقل، يقوم والده ليقول بصوت مسموع: نعم...
يستحق الاعدام او يستحق السجن.
غير ان قلوبهم تحترق حزناً على فراق اولادهم، لكن الحزب اراد
ذلك.

وحين جاء دور اسمي، المجرم رضا عباس، وقف أبي... كان جسده
نحيلاً وظهره محنياً من المرض والفقد، لكنه بدا كأنه جبل لا يقهر،
وقف وقال بصوت ثابت:

- المجرم من يقتل أو يسرق أو يزني أو يشرب الخمر أو يؤذي
الناس... ابني لم ولن يفعل ذلك.
قالها وهو ينظر في أعينهم واحداً واحداً، لم يصرخ، لم يشتم، لكنه قال
الحقيقة، وأشار بها إليهم... إلى القتلة، إلى من كانوا هناك ليقتلوا ابنه
باسم القانون.

لكن خوف أحد أقربائنا، وقد تملكه الرعب على أبي، قاطعه صارخاً:

- بالروح بالدم نفديك يا صدام!

وتبعه البعض في ترديد الهتاف للتمويه عما حدث، وإطفاء الحريق
بالصراخ المصطنع، وسرعان ما تلاشت ونسيت، وتم التغاضي عن
اعتراض أبي.

بعدها خرج الناس من مقر المنظمة، وجوهم مذبوحة بالحزن،
عيونهم مطفأة، كل منهم يحمل همه الى داره، ليبكي ولده وحده لا
يسمعه احد.

أما في بيتنا، فكانت أُمي تجلس في فناء الدار، كعادتها، تراقب الظلال
وتعدّ أنفاس الصباح...

كانت تستمع إلى صوت المكبر القادم من المنظمة، رغم أنها لا تعرف
حرفاً من العربية، لا تقرأ، لا تكتب... لكن حين سمعت اسمي، رضا
عباس، ومصطلح محكوم، انهار ما تبقى منها...
ظنّنت أنني أعدم.

صرخت صرخة شقّت صدرها، وبكت بكاءً يفوق كل لغة...

ركضت في الفناء، مزقت ثيابها، وضربت وجهها، وانهارت أمام
جدار الطين كما تنهار البيوت تحت القصف.
لم يكن في البيت سوى أختي الصغيرة وبنت عمي، حاولتا أن
تُسكّاهما، لكن حزنهما كان أثقل من الأيدي.
وعندما سمع خالي حاج أكرم صراخها، تسلل من فوق الجدار وقفز
إلى دارنا، ضمّها إلى صدره وهو يبكي...
كانت الأم تبكي ولدها، والأخ يحضن أخته، والدار غارقة في
الظلام.

التهجير والملاحقة

وحدثني صديق والدي موسى سمين آل جوبان، عن ضابط الامن
الذي طرق بابنا ذات يوم، فلما صار وجهاً لوجه مع والدي سأله عن
الذي يمدُّ له العون والمساعدة، وينقل له الأموال من ايران؟
فاجابه ابي: ارفع قدمك من الأرض هل ترى شيئاً؟

قال الضابط: لا أرى شيء

قال ابي: نعم انك لا ترى الديدان الصغيرة، التي يأتيها رزقها، وهي
تحت الحجر، والذي يرزق هذه الديدان يرزقني.

لم يعد دارنا داراً، بل صار عزاءً يعيش فيه الحزن، بكل زاوية،
ويهمس باسم رضا كل جدار ولم يكتفوا بذلك، فقد لاحقوا العوائل
بالترهيب والتجويع، وقاموا بترحيل عوائل السجناء والشهداء،
وهدمت دورهم، وصودرت املاكهم وحلالهم، وبيعت بثمانٍ بخس.

وسفرت الأهالي الى الرمادي واربيل والنجف ومنهم داخل كركوك
في الزاب وقضاء الحويجة وناحية الرياض والعباسي، وسكن بدلم في
القرية الغرباء، ليس من قرانا ولا مدننا، وزعت عليهم أراضينا
ومزارعنا التي تقدر مساحتها بـ (٤٥) ألف دونم

وكان نصيب والدي التهجير باتجاه طريق تكريت الى (مجمع صدام)
وأنا في زنزانة رطبة، جسدي يتلقى العذاب، وروحي تئن من فراق
أمّ تلبّسها الجنون، وأبٍ خذلته الدنيا، وأخت تنام على وسادة
الدموع... نعم، لم يُعدم رضا عباس، لكن شيئاً في قلوبنا انطفأ نوره في
ذلك اليوم...

محكمة الثورة - بغداد ١٩٨٢/٢/١٦

بعد مضي اكثر من سبعة اشهر في مديرية امن كركوك، دخل علينا يوماً المحقق ملازم حسين، ومن حوله لفيف من الشرطة وهم يضحكون، قال: ابشروا ان قلب السيد الرئيس كبير وقد عفا عنكم... سوف تذهبون غداً الى المحكمة ومن هناك سوف يطلق سراحكم. بلغ عدد المعتقلين من قرية بشير فقط، التي لا يتجاوز عدد بيوتها (٥٠٠ بيت) إلى مئة وسبعة وثلاثين بين رجل وشباب واحداث صغار، وأكثر من هذا العدد من تسعين.

في ذلك الصباح البارد، بدأوا ينادون بأسماء المعتقلين حتى بلغ عددنا (٢٤) معتقلاً، وكنتُ واحداً منهم، وزعوا علينا ملابس (دشداشة) واستبدلنا اول مرة ملابسنا الممزقة التي جئنا بها من بيوتنا، ونحن بين مصدق ومكذب، واقتادونا مقيدي الأيدي معصوبي العيون، الى سيارات هي اشبه ما تكون بسيارات نقل الثلجات (تب توب) من الخارج، فقلت في نفسي يطعموننا الايس كريم في هذا البرد القارس،

لكنها عبارة عن زنزانة في صندوق مغلق، يقف على بابه حارس،
وترافقنا سيارات أربعة من شرطة الحماية.

مضغنا مرارة المجهول، لا أحد منا يعلم إن كان ذاهباً إلى النور أم
إلى المشنقة، كان الطريق إلى محكمة الثورة موحشاً، وصوت صفارات
السيارات، ونفحات قلق لا تنتهي.

تعطلت السيارة التي كانت تقلنا، فانتظرنا ريثما تم إصلاحها، وقد
بلغ منا الجوع والبرد حد الانهيار.

توقفت السيارات وامرونا بالنزول، ولا ندري أين نحن! نظرنا من
خلف العصابة التي تحجب عيوننا، وجدنا انفسنا بين بنايات عالية لا
نعرف ماهي.

استقبلنا شرطة الامن بالسب والشتم والهراوات والعصي، التي
انهالت علينا ولا ندري كيف نتقيها،

وبعد التفتيش ساقونا الى بناية من طابقين، تتوزع الزنانات عليها،
وكان نصيبنا زنزانة (٢٤) في الطابق الثاني الذي جاء متوافقاً مع عددنا
(٢٤) وابعاد الزنزانة (٢×٣) من ضمنها مرافق غير صحية.

ولم يمض الوقت طويلاً، حتى فتح الباب مرةً أخرى، واطل علينا الضابط المسؤول وامرنا بالوقوف والتراجع الى الوراء، وليس هناك مكاناً نتراجع اليه، غير ان السوط الذي بيده كفيل بتراصنا بعضاً فوق بعض!

وادخلوا علينا معتقلين اخرين من اهل البصرة بلغ عددهم (٢٧) فاصبح عدد الزنزانة (٥١) معتقلاً، نتبادل الادوار بين واقف على قدم واحدة او الجلوس القرفصاء، ثم جيء بوجبة العشاء، ولأول مرة شعرنا بالشبع منذ اعتقالنا، ولم يغمض لنا جفن عين في تلك الليلة، فانشغلنا بالدعاء وقراءة القرآن وطلب براءة الذمة، وانتابتنا هواجس كثيرة، بعثرها القلق والخوف حتى طلع الفجر من يوم ١٦ / ٢ / ١٩٨٢، فأدينا صلاة الصبح وقرأنا دعاء الصبح، وتواصينا بالصبر والثبات، حتى سمعنا قرقعة المفاتيح وصوت الشرطي ابو جواد بمعية مجموعة من ضباط التحقيق الذين سيرافقوننا الى محكمة الثورة.

نادوا بأسمائنا وعصبوا عيوننا وقيدوا ايدي بعضنا ببعض، كل خمسة معاً، ثم ساقونا بشكل طابور الى السيارة التي سوف تنقلنا الى محكمة الثورة.

كانت السيارة التي صارت مركبة للعباب، لا تختلف عن اختها التي جاءت بنا من كركوك، صندوق مغلق له باب يقف عليه الحارس. سلطة البعث لم تترك وسيلة في تعذيب المعتقل الا مارسوها، حتى السير في الطريق الى المحكمة الذي لا نعرف به اين هو، كان سائق السيارة يتعمد في تعذيبنا، كان ينطلق بأقصى سرعة ثم يتوقف فجأة، فترتطم اجسادنا بعضها بعض.

خلال المسير الى قاعة المحكمة، سمعنا نداءً من مكبرات الصوت لسيارة الشرطة التي تتقدمنا، تأمر سائق احدى سيارات الأجرة (تاكسي) بالتوقف الى جانب الرصيف.

عندها سمعنا ترجل ضابط الامن وهو يهدد ويتوعد السائق، لانه عرقل سير موكب السيارات دون قصد!

حين وصلنا، نزع العصابات عن أعيننا، لنجد أنفسنا في قاعة عدلية واسعة، ولكنها كانت خالية من العدالة. فوق البوابة المهيبة صورة الرئيس الذي اختزل الوطن بشخصه، رافعاً ميزاناً لا يعرف الكفة الأخرى، ميزان يميل فقط صوب الدم.

دخلنا القاعة جماعة واحدة، كأننا قطع يساق إلى المذبح. وقفنا في
قفص الاتهام، المزدحم بنا وبآهاتنا، فيما كان الباقون مصطفىين خلفنا،
كأنها خشيت المحكمة أن نلوث قفصها بدمائنا التي لم تجف بعد من
سوط مديرية امن كركوك.

ظهر رئيس المحكمة مسلم الجبوري بوجه كالح كوجوه الجلادين.
سألنا واحداً واحداً:

- اسمك؟

- مواليك؟

- مذب أم بريء؟

وكل معتقل كان يجيبه: بريء... بريء ويكشف عن آثار التعذيب
على جسده، رغم مضي سبعة اشهر عليها!
غضب رئيس المحكمة وقال:

كلهم يقولون بريء، ما تعترفون إلا بالتعذيب؟ اسكت! لولا
التعذيب لما اعترفتم.

فانطلقت القهقهات من الشرطة حولنا، ضحكوا كما يضحك آكلو
لحوم البشر على ضحاياهم.

ثم سأل:

- هل وكلتم محامياً؟

ضحكنا بمرارة... من أين لنا بمحامٍ ونحن لم نرَ نور الشمس منذ
سبعة أشهر؟ لا زيارة، لا اتصال، لا إنسانية.

قال بصوته الأجوف:

- الحكومة والحزب وكلوا لكم محامياً، هو موسى عبدالرحمن.

- يا للسخرية فمن اعتقلنا حتى الحزب والثورة يوكل لنا محامياً؟

دخل علينا رجل يترنح من فرط التخمة واللامبالاة. ألقى نظرة
سريعة علينا، ثم تلا مرافعته التي كانت بوقاً لأحكام أعدت سلفاً:

- نظراً لما اعلنته حكومة الثورة من الحذر والتبليغ عن الخونة
والعملاء، اطلب من قاضي محكمة الموقرة ان لا تبقي لهم باقية،
وانزال اقصى العقوبات بحقهم، مع مراعاة من لم يتجاوز عمره
سن البلوغ.

واعلن القاضي انتهاء وقت الاستماع الى اقوال المتهمين، واخرجونا الى القاعة المجاورة، التي لم نمكث فيها طويلاً، حتى عدنا مرة اخرى للاستماع لقرار القاضي.

خيم الصمت على القاعة .. عاد الحاكم يتلو الأحكام قائلاً:
بالاستناد إلى المادة (١٥٦ أ) يُحكم على... بالإعدام شنقاً حتى الموت
وتلا عشرة اسماء ... وعلى آخرين بالسجن المؤبد... والبقية خمسة عشر
عاماً.

كان مشهداً عبثياً، لكنه مغطى بزي العدالة، محاكمة لم تدم سوى
نصف ساعة، لكنها كانت كفيلة بأن تفصل بين حياة وموت، بين شاب
في العشرين يُعدم، وآخر يُدفن حياً في زنزانة لعشرين عاماً.
تطايرت صرخات الله أكبر من أفواهنا، لم تكن تحديداً، بل كانت
طوق نجاة أخير نتشبث به قبل أن تنغلق الأبواب علينا.

وقبل ان نودع المحكمة، فوجئنا بمعتقلي اهل البصرة امامنا حكم
على (٢٥) منهم بالإعدام، واثنان فقط بالسجن المؤبد، هما كميل مهدي
من أهالي الخصيب، والاخر هو سلطان فاضل من البصرة، اللذان
رافقاني المحكمة السورية، ورحلة العذاب في سجن ابو غريب.

من الاساليب التي استعملتها السلطة، في التعذيب النفسي، انها تصدر على عدد قليل جداً، حكماً بالإعدام شنقاً حتى الموت، وينقل هؤلاء الى قاطع الاعدام، يقضون مدة ليست قصيرة، ثم يصدر لهم حكم آخر بالتخفيف الى السجن المؤبد، فيعيدونهم اليها، ومن هؤلاء السيد محمد مرتضى الطباطبائي وكيل السيد الخوئي في كربلاء، والسيد عقيل يوسف الموسوي من أهالي البصرة وآخرين.

وكان هؤلاء ينقلون لنا مشاهداتهم، والمواقف الشجاعة التي وقفها الشهداء على اعواد المشنقة، وكيف ساقوهم واحداً تلو الآخر الى الموت.

كانت وجوههم شاحبة، لكن عيونهم ثابتة، لا أحد بكى منهم، يرددون آيات الله، ويهتفون بالموت للجلاد.

اقتادونا جميعاً الى سجن لا يشبه إلا حفر القبور، وهناك وسط الصحراء شاهدنا من وراء العصابة، ابنة متباعدة قيل انها السجن الكبير في أبو غريب.

زلفت السيارة التي تنقل المحكومين بالإعدام الى جهة أخرى، وكان
هذا آخر عهدنا بهم، واستمرت سياراتنا باتجاه قسم الاحكام الخاصة،
وكلُّ منا يردد في داخله دعاء حفظه، أو آية قرآنية يتشبث بها.
كنت أنظر من خلفي إلى إخوة كنا نصلي معهم بالأمس ونتحدث،
نتهامس، نستذكر اسماء قريرتنا في الزنزانة الضيقة.
لم يودعوننا، ولم نودعهم، فليس في الموت وداع، بل في الموت صمت
فقط... صمتٌ مطبّق، كزنزانة لا نافذة لها.

سجن أبو غريب من الداخل ١٩٨٢

على الطريق الممتد بين بغداد والرمادي، في قلب الصحراء التي
تعودت أن تبتلع الأجساد وتُخفي الأصوات، يقبع أحد أشهر السجون
في الشرق الأوسط... سجن أبو غريب.

ليس مجرد سجن، بل جمهورية رعب محصنة بالأسلاك والبوابات
الحديدية، ويشرف على إدارته جهاز المخابرات العامة للقضايا
الخارجية، ومديرية الأمن العامة للقضايا الداخلية،
ويتكون من عدة أقسام، كل واحد منها يحكي لونا من ألوان
العذاب:

١ - قسم الإعدام : بناية تتكون من طابقين، تشرف عليها وزارة
الداخلية، وحولته سلطة البعث الى مسلخ بشري، تقف فيه الأرواح
صفاءً واحداً نحو المقصلة.

٢ - قسم الأحكام الثقيلة.

وهو قسم خاص بالمحكومين بجرائم القتل والجرائم الجنائية الكبرى.

٣ - قسم الأحكام الخفيفة: خاص بالسجناء المحكومين بتهم خفيفة، كالتهم وتتراوح الأحكام فيه من (١-٥) سنة.

٤ - قسم الأحكام الخاصة.

وينقسم الى قسمين :

- قسم الأحكام الخاصة المغلقة.

ويتكون من مجموعة من البنايات، تسمى (القافات) ومفردها (ق ١)، (ق ٢) و(الميمات) ومفردها (م ١ - م ٢ - م ٣) وتختلف بالتصميم، فالقاف يتكون من عشرين زنزانة مع مجموعة من المحاجر الانفرادية، اما الميم يتكون كل واحد منها من اربع قاعات مع مجموعة من المحاجر الانفرادية، تتوزع بين الطابق الأول والثاني. وكل (ق) او (م) يشبه مقبرة.

وتتضمن السجناء السياسيين من التيارات الإسلامية الشيعية حصراً، وسميت بالمغلقة لان السجناء فيها منعوا من زيارة عوائلهم لهم.

- قسم الأحكام المفتوحة:

ويتكون من مجموعة من الميمات والجملونات، وتضمُ السجناء السياسيين المحكومين بقضايا خفيفة، من التيارات المختلفة، والذين يسمح لعوائلهم زيارتهم.

٥ - الأقسام الخاصة بالمخابرات.

مجموعة من القافات التي صممت من زنانات صغيرة عددها عشرين زنانة مع مجموعة من المحاجر الانفرادية، ويشتركون في المغاسل سوية، وهذه الأقسام يشرف عليها جهاز المخابرات العام.

٦ - التأهيلي:

وهي بناية لاستقبال السجناء السياسيين الجدد، واستخدمت مكاناً لعزل المصابين بالتدرن.

٧ - وهناك في السجن مجموعة من البنايات منها (المطعم والمدرسة والمكتبة) تحولت كلها الى زنانات يحشر فيها السجناء، نظراً لكثرة الاحكام التي أصدرتها المحكمة الخاصة (محكمة الثورة) غير الذين ضيعتهم المقابر الجماعية.

المكان الذي لا تدخله الشمس

قبل غروب شمس يوم ١٧ / ٢ / ١٩٨٢ وصلنا الى عتبة السجن الكبير، فتح باب السيارة، وصرخ مفوض الشرطة بأعلى صوته: انزلووو ! نزلنا فرادى، كل منا يحمل همه معه، فليس عندنا متاع نحمله.

استقبلنا مجموعة من شرطة الامن بالكييلات^(١) والعصي مصحوبة بالشم والالفاظ البذيئة، وهو ما يسمى عندهم حفل الاستقبال، ثم فتشونا تفتيشاً مهيناً وساقونا بعدها الى قاعة كبيرة فيها سبورة ومقاعد دراسية تسمى المدرسة.

كان سجن أبو غريب مدينة داخل مدينة، تحيطها جدران اسمنتية عالية، عليها آثار دماء اخواننا واهلنا، كتب عليها بخط باهت :

(١) - مجموعة الاسلاك المغلفة بالبلاستيك.

هنا تنتهي الدولة وتبدأ الغابة، حيث كان يسميها مفوض الشرطة
(دولة فلاح عاكولة)

كان المشرفون على المدرسة (السجن) مجموعة من شرطة الشؤون
التابعة الى وزارة العمل، لمسنا منهم العطف والرافة، فقدموا لنا طعاماً
أشبعنا تلك الليلة، وكان المشرف على توزيع الطعام سجين يدعونه (ابو
جعفر) اقترب مني وسألني من أي محافظة أنتم؟

- قلت له: من محافظة كركوك.
- قال: اتعرف السيد هاشم محمد علي.
- قلت نعم هو من قريتنا.
- قال: هو موجود هنا في قسم المفتوحة، ثم همس في اذني دون ان
ينظر الى وجهي، وكأنه يراقب ما حوله.
- هل يمكنك ان تسجل اسماء قضيتكم؟ ثم اخرج قلماً صغيراً،
وقصاصة ورق من اسفل قدر الطعام (القزان) وقال: ادخل الى المرافق
حتى لا يراك احد.

وقفت متحيراً لا ادري ماذا افعل، وعلى حياء اخذتها منه، وقصدت
احد مجموعتنا هو سامي سعدون، واخبرته بالأمر، فلم يمانع فدونت
اسماءنا كلها، وسلمتها له^(١).

لم تقتصر قاعة المدرسة على استقبال الاسلاميين فقط، بل كانت ممر
قصير لكل المحكومين بقضايا سياسية من كل القوميات والاحزاب
المعارضة.

فقد التقيت بشاب طالب جامعة من اهل الفلوجة، قيل انه من
تنظيم (الاخوان المسلمون) استدعاه شرطة الامن، ومكث عندهم اكثر
من ساعة، ثم عاد الينا، وهو لا يقوى على المشي، والدماء تسيل منه،
وآثار التعذيب على جسده.

سالته عن الذي جرى عليه؟

(١) - سمعنا لاحقاً ان الاسماء اذيعت من اذاعة الجمهورية الاسلامية (القسم
العربي) في طهران.

اجابني: اني من اهل السُّنة، وطلبوا مني ان اتعلم وضوء الشيعة
وصلاتهم، حتى يدخلونني الى القسم الخاص بهم، كي اتجسس عليهم،
ولكنني رفضتُ.

فربتُ على كتفه، وايقنتُ ان هناك كثير من المحكومين الذين قبلوا
المهمة، وعملوا على مراقبة السجناء والتجسس عليهم.

لم نبقَ طويلاً في سجن (لمدرسة) فقد دخل علينا في اليوم الثاني
النقيب غالب الدوري، والمفوض فلاح عاكولة، ونودي باسمائنا
وقادونا الى القسم المغلق، الذي يشرف على ادارته ضباط الامن العامة،
وسميت لان المودعين فيها من السجناء، ممنوعين عن زيارة عوائلهم
لهم.

اقتادونا الى ممر طويل، تتوزع على جانبيه مجموعة من الابواب
الحديدية التي لا ندري ما وراءها، حتى وقفنا امام احداها، ومن خلال
العصابة التي تحجب عيوننا، قرأنا في اعلى الباب (المخزن).

ظننا اننا سوف نتسلم منه عدة السجن والملابس الخاصة به! ما ان
فتح الباب، حتى وجدنا انفسنا في قسم كبير يتكون من طابقين، اسمه
(قاف واحد) وفي كل طابق عشر زنانات، تتوزع على الجانبين، يفصل

بينهما ممر عرضه خمسة امتار، ومثلها في الطابق الثاني. اضافة الى محاجر صغيرة للعقوبة الانفرادية.

تتكون الزنزانة من ثلاث جدران وقضبان حديدية، ومساحة كل زنزانة (٥ × ٥) م عدا زنزانة (١١ و ١٥) كانت مساحتها (٦ × ٥) م مربع، منها متر مربع مرافق غير صحية .

فرقونا على زنزانتى (١٣ و ١٥) وكان نصيبى منها زنزانة (١٥)، وفيها ألتقيت بـ (كميل وسلطان) من أهالى البصرة، الذين التقيتهم في المحكمة.

يتولى توزيع الطعام وتنظيم شؤون القاف مجموعة من السجناء، يختارهم الضابط المسؤول، ويسمح لهم بالتجوال داخل القاف. تستبدل مجموعة الخدمات، مرة بعد أخرى حسب الضابط المسؤول، وتبعاً للاستقرار السياسي في البلد.

وعندما تشتد قبضة السلطة على السجناء، يختار ضابط الامن المنافقين، المستعدين للوشاية بزملائهم، وعندما يرتقى الضابط باخلاقه ونفسه عن الاجرام والضرر بالآخرين، يترك الامر للسجناء في اختيار من يخدمونهم.

تتشابه وجبات الطعام في الأقسام المغلقة، مع بقية المعتقلات والسجون العراقية، يقوم الخدمات بتوزيع الصمون صباحاً لكل سجين صمونتين او ثلاثة هي وجبات طعامه في ذلك اليوم. ومع الصمون يوزع صباحاً طبق من شوربة العدس المخلوط بالخصي لكل خمسة سجناء.

وطبق من الرز وقت الغداء معه حساء من الماء الحار تطوف فيه اعواد السلق او حبات الفاصوليا، او الباذنجان، يطلق عليه السجناء (مرقة هواء) لانها عبارة عن ماء حار اضيف اليه الكركم الأصفر. يتحلق كل خمسة سجناء على طبق، يقومون بشرم الخبز قطعاً صغيرة، وخلطها بالشوربة في وجبة الصباح، او خلطها بالرز في وجبة الغداء لزيادة الكمية، اما الشاي فتتصاعد منه رائحة الكافور. يلجأ اغلب السجناء الى الصوم، تهرباً من ألم الجوع الذي يطاردهم، فيجمعون طعام الوجبات الثلاث بوجبة واحدة، عليها تشبعهم من جوع.

ومع كل وجبة طعام، كانت هناك حفلة تعذيب... يخرجون عدداً
من السجناء دون سبب، فقط ليكونوا امثلة للآخرين، حتى لا يتجرأ
احد ان يعترض او يطلب شيء.

يوم في زنزانة

في قسم الاحكام الخاصة (المغلقة) لا وجود للزمن، لا صباح ولا مساء، فالיום هو أمس، وغداً هو نسخة من اليوم، كل شيء متكرر، وكل شيء ممنوع لا حركة، لا وقوف ولا شمس، إلا الهواء لم يستطيعوا منعه.

ولسان الحال كما وصفه احد السجناء:

اصبحت في السجن أن ارى حلماً أو أن افسر احلام المساجين
فقلت: يأتي زمان لا حصاد فيه الا حصاد رؤوس العثاين

كانوا يحشرون في كل زنزانة من (٤٥-٥٥) سجيناً، لا يسع لأحدهم ان يمد قدميه، وعند النوم يتمددون على الجنب متعاكسين، فيحتضن كل منهم قدمي صاحبه، او ما سميت (نومة الكاز).
يوجد مرحاضاً في ركن الزنزانة، لا حائط يستره، ولا ماء ينظفه، مساحته متر مربع، نستخدمه لقضاء الحاجة والاستحمام والنوم،

وتستخدمه إدارة السجن للتعذيب النفسي في أحيان كثيرة، اذ تلجأ الى سد المجاري، فتطوف الفضلات الى أرضية الزنزانة، وتبقى غارقة مدة يومين او ثلاثة، تحرمهم فيها الطعام والنوم والجلوس.

ليس في الزنزانة غسل او استحمام، انما هو طريقة للسخرية، اذ يأمرّون السجناء بالتعري والجلوس على شكل دائرة، ويأتون بخرطوم المياه مدة (١٥ دقيقة) يمرروه على اجسادنا، ثم يقوم كل سجين بتمرير الصابون على جسمه، وينتظر حتى تصل اليه المياه مرة أخرى، ولا تصل حتى يجف الصابون عليه، وليس الوقت ما يكفي لإزالة كل ما علق به، فيقوم بمسحها بثوبه الذي لا يملك غيره.

ومن التعذيب الذي لا يحتاج الى سوط، حالة التسمم التي يتعرض اليها السجناء، ومنها وضع مادة (الزرنخ) في الطعام.

كان رفيقنا في الزنزانة، الجرب والسل الرئوي والقمل الذي انتشر في ملابسنا وفراشنا واجسامنا، والحكة التي لا تنتهي، حتى ادميت جلودنا، وحرمتنا من النوم، والتدرن الذي اصابنا دون علاج او طبيب. يقضي السجناء اوقاتهم بحفظ القرآن الكريم، او ادعية الصحيفة السجادية او خطب نهج البلاغة، بطريقة التلقين، اذ يحظر في السجن

وجود القرآن الكريم او غيره من الكتب الأخرى، او تناول القلم والورقة.

فيلجأ كل سجين الى حفظ ما يحفظه غيره من آيات كتاب الله. اما وقت النوم والنهوض، فتبدأ مع دخول وجبة الشوربة صباحاً، الى منتصف الليل عند انتهاء برامج التلفزيون، مع السماح بالنهوض ساعة واحدة لأداء صلاة الصبح.

يختار السجناء مراقباً منهم، لادارة وتنظيم شؤون الزنزانة، وتمثيلهم امام ادارة السجن، ويشرف على صرف الماء وتقنيته، من خلال تسمية شخص مسؤولاً عن الماء.

ومتابعة نظام الخفارة بقيام اثنين من السجناء، حسب تسلسل موقع النوم، في تنظيف الزنزانة، وغسل وتنظيف الاواني بعد الطعام. يستخدم السجناء في الاقسام المغلقة، غطاء برميل البلاستيك، او شطر علبه (زيوت بابل) اواني لتناول الطعام، وعلبة العصير او البيسي الفارغة للشاي، يحصلون عليها من القمامة، عندما يتعاطف معهم شرطي الامن لتوصيلها اليهم.

يعرضُ السجين نفسه للهلاك، اذا قام بالتحرك او الصلاة او أي حركة أخرى، خلال عرض زيارة او حديث للرئيس فترة الاخبار، التي غالباً ما تتكرر، كلما اعيد عرضها.

وكان غالب الدوري، يحرص على وصول صحيفة الثورة الناطقة بلسان حزب البعث، الى السجناء، فيأتون بعدد من نسخها، يمررونها على الزنانات.

وذات مرة وقعت عيناى على خبر نشرته الصحيفة، أثار في داخلي ضحكاً ممزوجاً بالغصة، عن الوضع الإنساني المأساوي، الذي يتلقاه الاسرى الفلسطينيون وعددهم (٢٥) اسير في سجون الاحتلال، من المعاملة السيئة وقلة الطعام.

أي مفارقة تلك، أن يبكي الجلاد على ضحايا غيره، بينما يغرز خنجره في ظهورنا كل يوم

وتقوم مجموعة الخدمات من المنافقين، بتسجيل اسم كل مخالفة من ذلك، ويمكن لاي حركة ان تكون مخالفة، يساعدهم في كل زنانة مراقب يختارونه على شاكلتهم..

أكثر المنافقين تعاوناً مع الجلاد، هم مجموعة (يقظان غني المايح)^(١)، وجواد (أبو حيدر)^(٢) وباسل بدري شايح^(٣) (أبو وسيم) وعبود عبدالسادة الفتلاوي وحمزة عجمي، وصباح جميل من أهالي ديالى، ومعمار حسين ناصر من أهالي الفضل.

كان هؤلاء أكثر اجراماً من شرطة الامن أنفسهم، لاثبات ولائهم وطاعتهم، وتزلفهم للنقيب غالب الدوري.

وذات مرة وصل الأقسام المغلقة سجيناً من أهالي الناصرية، يحمل معه سجائر، لا نعرف كيف حصل عليها، فحرك ذلك الحاجة في نفوس المدخنين، الذين تقربوا منه، فقام الرجل بتوزيعها عليهم بالتساوي، الا ان ذلك لم يشبع غرور المراقب المنافق، الذي أراد ان يميزه على غيره بالزيادة، فاستحى الرجل من طلبه، وهو ما يزال لا يعرف ما يجري فزاده، لكن المراقب طمع بالاكثير.

(١) - من أهالي الحلة، كان يعمل في حدادة السيارات

(٢) - من أهالي الحلة وهو عامل بناء ذو لسان سليط ونتين، وقاسي على السجناء.

(٣) - من أهالي الحلة يعمل حلاق.

فامتنع الرجل، ووقفه عند حده قائلاً: كلنا سجناء نعيش الظروف
نفسها، ما الذي يميزك عن غيرك؟
لكن المراقب غضب، وقال لمن حوله: سألقنه درساً لا ينساه!
فابتسم أحدهم، وكأنه رضي بقوله. لكنني سارعت اليه، واخبرته:
ان ابتسامتك هذه شجعته على النفاق، وسوف تتحمل وزر ما يفعل!
انتظر المراقب قليلاً، ريثما سنحت له الفرصة، وافترى على صاحب
السكائر، عند النقيب غالب الدوري الذي امر الشرطي خليل بتعذيبه،
والتنكيل به، وتقليل وجبة طعامه، ورميه في المحجر الانفرادي أربعين
يوماً.

السجين الذي خانته حبيبته

ولان الوقت عند السجين لا يساوي شيئاً، فتوجه اهتمامي الى سماع قصص الآخرين، وما جرى لهم في الدهاليز المظلمة لمديريات الأمن... تلك الحكايات كانت تشدني وتغذي في داخلي رغبة في الفهم، وربما شيئاً من المواساة الخفية.

وان كنت انسى فلا انسى ما جرى الى نائب الضابط جاسب، ذلك الرجل الذي انزوى مع نفسه، ولم يشارك الآخرين احاديثهم وهمساتهم، كان يقضي وقته متكئاً على القضبان الحديدية، بطوله الفارع، وجسمه الممتلئ، وثغره المبتسم، فعزمت الدخول الى عالمه الخاص. وذات يوم قصده، فوجدته يلتهم حبات الثوم، كما لو انها جرزات، فلما رأني ردد بصوت واطىء هلا.. هلا.. ماذا تريد؟

قلتُ اريدُ ان اكون صديقك

- قال: اكره الصداقة، لا اريد ان يكون لي صديقاً!

- قلت: ممكن ان اسالك؟

- قال: لا تسل ... مزاجي متعكر!

فلما سمع لغتي العربية الضعيفة، وعرف اني تركماني، اردف قائلاً:
انت من القراديش؟

- قلت: نعم

- فقال وهو يهز رأسه: انتم فقراء على نياتكم.

- قلت: الحمد لله هذه نعمة.

شعرتُ انه اطمئن اليّ، ومال نحوي يحدثني.

فاستجمعت شجاعتي وسألته: ما الذي جاء بك الى هنا؟

تنهد طويلاً .. كأن روحه صعدت من جوفه، وقال بصوت ثقيل:

اترك الامر .. هذه قصة طويلة ومؤلمة.

- قلتُ وانا يستهويني سماع القصص المؤلمة.

نظر نحو اليمين والشمال وابتسم، ثم قهقهه عالياً واخرج من جيبه

حبة ثوم، ودفعها الى فمه.

- قال: غدرت بي خطيبتي، كانت مخبرة سرية ولا ادري، هذه

خلاصة القصة، ثم ابتسم ولم يقل غير ذلك.

الححْتُ عليه ان يتحدث بالتفاصيل، لكنه امتنع ان يتفوه بأي كلمة اخرى.

سالتُ عن اصدقائه، وابناء مدينته، فارشدوني اليهم، وسألتهم عن قصة جاسب.

حدثني احدهم: ان جاسب زار مرةً بيت اخيه، قبل زواجه، فوجد عندهم شقيقة زوجة اخيه، فاعجب بها، وتبادلا الحديث، وتطورت العلاقة الى حب وخطوبة رسمية.

واعتاد عندما يكون مجازاً، يمرُّ الى بيت اهلها، يصحبها معه لقضاء الوقت، في نزهة او مطعم او غيره.

وفي غمرة احاديث الحب والامنيات، سألته خطيبته ذات مرة. اذا انتهت الحرب العراقية الايرانية، وسقط صدام حسين، الى اين نسافر؟

فاجابها وهو يضحك: اركبج بالطيارة، وانزلج بايران! كان يمزح... لكنها لم تكن تمزح، وضحكا معاً، الى ان انتهت جولتهما، وعاد بها الى بيت اهلها، وودعها وانصرف.

في اليوم الآخر كان مسترخياً في بيتهم، حين طرق الباب بقوة، خرج
مسرعاً، ليفتح الباب، لكنه تفاجأ باثنين مدججين بالسلاح يسألون
عنه.

ولما اخبرهم باسمه، قيدوا يديه واقتادوه الى جهة لا يدري اين
تكون! بعد ان عصبوا عينيه.

اراد ان يقول لهم، انهم وقعوا في اشتباه، او تشابه اسماء، او ان الذي
تطلبونه هو ليس انا!

لكنهم اصموا اسماعهم، واخذوا يضربونه بالعصي واستخدموا معه
وسائل التعذيب المختلفة، وهو لا يعرف السبب الذي جاء به الى هذا
المكان.

الى ان جاءوا له بجهاز تسجيل، عبارة عن قلم حبر، كانت خطيبته
اخفته عنه، لنقل قوله: (اركبج بالطيارة، وانزلج يايران) فبهت الرجل،
وفقد عقله ليس بسبب وحشية التعذيب وحده، بل من هول الخيانة.
فكان ينظر في المجهول، كأنه ينتظر امنية لا تأتي... وامرأة لم تكن
يوماً له.

السيد صالح السويج

كان بيننا من يضيء ظلام السجن بشجاعته وموقفه، مثل السيد صالح السويج، من أهالي البصرة، رجل في الأربعين من عمره، وذات هيبة ووقار، لم يرهبه نفاق يقظان ومجموعته ولا غطرسة غالب الدوري، ولا سلطة الجلادين...

قضى فترة طويلة في مديرية امن البصرة، واعتاد على أساليب السلطة، وتصرفات جلاديه، لما رأى ما يقوم به يقظان، من إرهاب وتنكيل مع السجناء.

وخلال خروجنا الى الساحة الصغيرة المجاورة لـ (قاف واحد)، تقرب السيد صالح من النقيب الدوري، واشتكى بالضد من يقظان، مدعياً انه يكذب ليتقرب من شرطة الامن، ويتصرف على انها أوامر من السيد الضابط، وان السجناء كلهم أبناء هذه الأرض، فلا ينبغي ان تحول تصرفاته بينهم وبين بلادهم.

ورغم ان غالب الدوري، يسعده تعاون يقظان ونفاقه، لكنه أراد ان يظهر امام السجناء بالقاضي العدل، وان ما يجري دون علمه! فأمر بانهاء خدمات يقظان، وادخاله الى الزنزانة.

ولان شرطة الامن يعلمون منزلة يقظان عند غالب الدوري، فقد هدد الشرطي خليل السيد صالح بالانتقام منه على ما اقدم عليه قائلاً: ساعذبك حد الموت!

لكن السيد صالح سارع وأخبر الدوري بتهديد الشرطي، واراد الدوري ان يبقى على كلمته، فنهى الشرطي من التقرب الى السيد صالح.

ومن مواقف التحدي والشجاعة، ما ابداهما السجين محمد علي كعيد من أهالي بغداد، وكان شاباً رياضياً مفتول العضلات. حاصل على الحزام الأسود في لعبة الجودو والكراتية.

تعرض الى أنواع التعذيب والتنكيل، وانتهت محاولاتهم للفشل بالحصول على معلومة، مما اثار غضب ضابط التحقيق واستفزازه، فأراد ان ينتقم منه، فضربه بالهراوة على رأسه، أدى الى شج رأسه، وملأت الدماء أرضية الغرفة، وفقدانه الوعي والذاكرة.

لكن محمد ظل ذلك الشاب القوي الذي لا يرضى بالباطل ويمقته.
ذات يوم تشاجر مع المراقب المتعاون، فما كان منه الا ان قفز الى
الأعلى وركله بقدمه على صدره، فارداه ارضاً، وفرح السجناء لهذه
العقوبة، ولم يتقدم أحد منهم، لمنعه من ركله ثانية.
فقام المراقب الى شفرة حلاقة، يريد ان يخدش به محمد، وعند ذلك
تدخل السجناء وفرقوا بينهما.
لا لا عيب نحن اخوة مو عيب ...
فقال المراقب: عندما كان يضربني، لم يتدخل احد منكم لمنعه، فلما
اردت ضربه، صرتم كلكم معه.
لكن سوف يرى مني ما يسوؤه ...
وانتظر الى ريشما وصل المفوض فلاح عاكولة، فاشتكى عنده ، لكن
عاكولة لم يعبأ به.
وهكذا اصبح يخشى التقرب من محمد كعيد.

سعد طلبة

شاب من أهالي الثورة في بغداد ... اسمه سعد علي حسين التميمي،
وعرف بيننا (سعد طلبة) سريع البديهة، له القدرة على التمثيل بشكل لا
يدع مجالاً للشك، حتى حسبناه قد تاه عن الدرب، وأنه انحرف وسلك
طريق المنافقين.

لكن الأيام كفيلة بتمييز الطاهر من المذنب، والصادق من الخائن.
فمع مرور الوقت، ومع متابعة تصرفاته عن قرب، تكشفت لنا الحقيقة:
سعد أتقن دور المتعاون مع الأمن ببراءة، فاستطاع أن يخترق
جدران الثقة لدى مسؤولي دائرة السجن، وقدم نفسه على أنه متعاون
مخلص، حتى تمكن من تغيير تركيبة الخدمات في (ق ١).

استبدل المنافقين المتعاونين مع الجلادين، بمجموعة من ذوي
الأخلاق الحميدة، لا يشكّلون خطراً علينا، بل صاروا عوناً لنا في
خفاء.

ومع هذا التغيير، انفتح أمامنا متنفس من الامل، وأعدنا ترتيب
أيماننا في ممارسة النشاطات الممنوعة، نستذكر المناسبات الدينية، وحفظ
سور القرآن الكريم، كأننا نعيش هدنة مؤقتة مع الموت، حتى مضي
علينا سنة كاملة.

وكلما حاول احد من المنافقين التحدث الى شرطة الامن، منعناه
خشية كشف ما يجري بيننا، وكان سعد يؤكد ان لا تسمحوا لاحد
بالتقرب من شرطة الامن، واذا اضطررتم فامسكوه واغلقوا فمه،
وغطوه بالبطانية وقولوا انه مجنون، يحاول الاعتداء على الآخرين.
لكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد تظاهر أحدهم يوماً بالمرض، وطلب
نقله إلى المستشفى لإجراء فحوصات.

انقسم السجناء بين مصدق لمرضه ومكذب، وشاع في الزنزانة قلق
من نواياه: أريد العلاج؟ أم النفاق؟

كنت مع الذين تعاطفوا معه، فدفعت نحو السماح له بالخروج،
وللأسف كان الظن السيئ أصدق من حسن النية.

فما إن خلا المنافق بـ فلاح عاكولة وأعوانه، كشف لهم كل ما في قاف
١، وكأنه كان يسجل كل شيء بدقة منذ شهور، ينتظر لحظة الطعن في

الظهر. بعدها بساعات، داهمنا فلاح عاكولة برفقة عدد من الجلادين،
فاقتحموا الزنازين كقطعان الذئاب، وجمعوا (الخدمات الطيبين) واحداً
تلو الآخر، وأعادوا إلينا المنافقين الذين سبق طردهم.

أما سعد طلبة، فقد اختطفوه معهم، وغاب عن أنظارنا، بقينا نعيش
الانتظار والخوف والدعاء، ولما عاد، كان جسده لوحةً من التعذيب:
آثار التعذيب، والتعليق، والكسر، تشهد على ما جرى له في أقبية
التحقيق.

عادت الأبواب تُغلق بإحكام، وعاد الخوف يحكم التفاصيل. مُنعت
المناسبات، وأُخرس الدعاء، واعتُقل حتى الأمل.

لكن بقي اسم سعد طلبة محفوراً في قلوبنا، لا كضحية، بل كبطل
خاض معركة التجسس المعاكس في قلب الجحيم... فكانت نكبته،
شهادة بطولة.

التدرن او (السل الرئوي)

رغم القهر الذي كان يحاصرنا من كل زاوية... ورغم المرض الذي
أخذ منا شبابنا وعافيتنا... إلا أن هناك في سجن أبي غريب ما يشبه
المدرسة، ليس في المكان بل في القلوب.

عشنا بين جدرانٍ من حجرٍ بارد، لكن أرواحنا كانت تتلامس
بحرارة المودة، وكأننا في الجنة: (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ)^(١)
كانت علاقة السجناء مع بعضهم، علاقةً نقية في طهرها، وكأننا
متعارفون منذ القدم، رابطة هي أسمى من الظرف، وأقوى من الزنانة.
كانوا ينادوننا قرداش أو قِراديش^(٢) وكأنهم يعلمون أن تلك الكلمة
تسري في دمننا قبل أن يعرفوا لغتنا.

(١) - سورة الحجر

(٢) - قرداش بالتركية / بمعنى اخ.

نقتسم الألم كما نقتسم لقمة الخبز، يؤثر بعضنا اخاه بطعامه، وراحته، وحرصنا ان لا نبتعد عن المصابين بالتدرن، رغم انه من الامراض المعدية التي تنتقل بالهواء، حتى ننسيهم معاناتهم، ولا نشعرهم بخطرهم. فنشاركهم طبق الطعام الذي يتناولون منه، ونرقد الى جانبهم، ونقدم لهم ما يُتاح من الدواء والطعام. ونخفي ضعفنا كي نرفع همّة من هو أشد منا عذابًا.

لم تكن الأخوة التي جمعتنا في ذلك المعتقل تشبه شيئًا مما يعرفه الناس في الخارج... كانت أخوة تشبه تلك التي أقامها رسول الله (ص) بين الأنصار والمهاجرين، إخوة كانت فيها الروح تفدي الروح، والجرح يُضمد باليد العارية والمحبة.

اتذكر جيداً تلك الأيام، حين كنت أنا والسيد أحمد العطار نتفقد المصابين بمرض السل الرئوي (حميات كوخ) ونتابع علاجهم، بإشراف الدكتور علي رحمه الله... خلال ذلك تعلمتُ زرق الابرة بالعظلة او الوريد، وحفظت اسماء الادوية وطريقة استعمالها، وصار عملنا نمسح العرق، ونحقن الدواء، ونجمع ما يمكن من الحبوب المتناثرة هنا وهناك.

و ذات يوم، حين نُقلت إلى الزنزانة الرابعة عشرة، أردت أن أجلس
في الزاوية بهدوء، لكن صوتاً قال لي:
تمهل ... وانتبه الى النائم خلفك.
التفتُ، فرأيت شاباً في عمر الورد، يتصبب عرقاً، جسده منهك
وروحه هزيلة. جلست عند رأسه، ومسحت جبينه.
سألته: ما اسمك؟
قال بصوت خافت:
حسين أبو علي... من أهالي الثورة
سألته:
تناولت العلاج؟ هز رأسه بأسى:
لا يوجد علاج.
تحدثتُ مع الدكتور علي، فقال:
عندي (ريفادين)
يكفي لعشرين يوم، وإذا لم تكتمل الدورة العلاجية سوف يتكيف
جسمه مع العلاج، ولا يستفيد حتى إذا توفر فيما بعد!
قلت له:

دكتور، الولد منتهي... لازم تبحت له عن علاج بأي وسيلة.
جمعت له حبات من زنانات أخرى... علاج عراقي اسمه (باص)
مع كبسولات (ريفادين) إيطالية، ونوع من الإبرة
(ستريتوميسين)... وبدأنا دورة العلاج.

كان زملاؤنا يراقبونني وأنا أتحايل بالمورس لجمع ما يمكن، وكأننا
نسرق الحياة من بين أنياب الموت.

وبعد أيام... تحسّن حسين وبدأ يتعافى بعض الشيء، وذات مساء،
وهو يشعّ حياءً وامتنان، قال لي:

اسمّع هاي الأبيات التي نظمتمها إليك:

يا صادق القلب ماذا فيك تنتظرُ

أمسك الضّر أم صديق لك مسّه الضّر

باركك الله يا رضا...

لكنّي نسيت باقي الأبيات... ضاعت وسط الزنازين والأئين
والسنين.

قال لي بعدها:

لازم تجاوبني بشعر، اكتبلي شي.

قلت له:

أبو علي، آني تُركماني، ما أعرف شعر.

قال بابتسامة واهنة:

لازم تحاول... اكتب، وانا أساعدك.

وكانت أول مرة في حياتي أمسك فيها بقلم وهمي، وأكتب من قلبي

قصيدة لسيد الشهداء الحسين عليه السلام... لا أعلم هل كانت شعراً

أم شعوراً... لم تبقَ منها في الذاكرة الا بيتين:

علا على العالين دون تعاليا

ودنا من الأدنين دون تدانيا

وبعدها... أصابني المرض ذاته، السل الرئوي... حملوني إلى

المستشفى لإجراء الأشعة، فأكدوا التشخيص. كنت أعلم أنني على

الحافة. نُقلت إلى المحجر، هناك حيث يقبع من أصبح خطراً على من

تبقى من الأحياء.

لكنني لم أكن خائفاً، بل ممتناً... لا لأنني مريض، بل لأنني كنت

يوماً سبباً في أن يعيش حسين، ولو أياماً أكثر.

أيام في المحجر

عدم التعرض للشمس، وسوء التغذية، والتعذيب النفسي والجسدي، كلها اسباباً ساعدت على انتشار امراض مثل الجرب والتدرن في الاقسام المغلقة من سجن ابو غريب، واصبحت اجسادنا مرتعاً للقمل، وكان اشده التدرن (T.P) سنة (١٩٨٤ - ١٩٨٥) وكأنه الأنفلونزا انتشرت عدواه بيننا.

وخصص المحجر لعزل المصابين، ويتكون من ثلاث زنانات، لا تختلف كثيراً عن زنانات القافات، لكنها معزولة... غريبة في هدوئها... أمام كل زنانة محجر صغير، تشبه محاجر الامن العامة، حيث الضيق والخشونة، أما شرطة الأمن، فلم يجرؤ أحدهم على الدخول خوفاً من العدوى... وكأن المرض جعلنا خارج الخطر وخارج الاهتمام والمراقبة.

اصابني التدرن كما اصاب كثير من اخواني السجناء، وبدأ المرض يأخذني شيئاً فشيئاً... فقدت الشهية، اصابني الخمول، نحل جسمي،

صعبت خطواتي، وكأني احمل جبلاً على ظهري. حتى الوقوف على قدمي أصبح صعباً.

كنتُ قبل انتقالي من (ق ١) اشغل وقتي بحفظ القرآن حتى شارفتُ على ختمه عن ظهر قلب، فضلاً عن حفظ اكثر من خمسين خطبة من نهج البلاغة، ومجموعة كبيرة من ادعية الصحيفة السجادية.

ولما رأني الدكتور علي العبيدي، وكان يتابع المصابين بالتدرن، قال: اترك الحفظ... صحتك لا تتحمل!

بقيتُ متحيراً بين صحتي ورغبتني الجامعة ان اكون حافظاً لكتاب الله، ولم يبق منه الا (سورة الاعراف)

وتفألتُ بكتاب الله، فكانت الآية المباركة (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) وفعلاً ساءت صحتي بعدها، فلم استطع حتى القيام للصلاة. وفي المحجر كان الجميع، مسلم امره الله، وليس للموت بيننا رهبة، فقد مات قبلنا الكثير.

تعرفتُ هناك على رجل من أهالي البصرة، اسمه ابو رقية، رجل طيب، هادئ الطبع رزين، ضعيف البنية، لكنه كان كبير الروح، حاني القلب على كل مريض.

اخضعني الى دورة علاج، واشرف على علاجي، مع ما يقصه عليّ
من قصص الانبياء وروايات اهل البيت. فتحسنت صحتي، وبدأت
اشعر بالنشاط يعود الى عضلاتي.

وكان الى جوارى رجلاً بدين، يعاني من الربو وضيق التنفس، اسمه
السيد غازي وكنيته (ابو جعفر) وفي كل مرة كان وجهه يصفر، ولا
يستطيع التنفس، مما يضطره الى النوم جالساً، خشية اختناقه.

وكنا يومياً ننهض على صراخه، وهو ينادي.

والعباس راح اموت... والحسين راح اموت!

وكلما اخلدنا الى النوم كان صوته ترده الجدران اموت... اموت!

ولا نملك له شيئاً... لا دواء، ولا حيلة... سوى الدعاء.

وفي ليلة من الليالي، صرخ كعادته ثم سكت. ظننا أنه نام. وفي

الصباح، حين قُدم له الإفطار...

كان قد مات.

مات بصمت... كأن المرض قد اغتاله بعدما سلبه أنفاسه الأخيرة.

رحمه الله... وحشره مع محمد وآل محمد.

ولان البلاء اذا اشتد، ضاقت بنا السبل، فيصبح المرء لا يتحمل
اخاه، بسبب الضيق والتعب والمرض، واليأس كلها اجتمعت، فيحدث
مشاجرة هنا او هناك.

وتشاجر الاخوة مرةً، وتعالّت الأصوات... وطفحت بعض
الالفاظ التي لا تليق بمن حفظوا القرآن ونهج البلاغة.
خلال ذلك وقف رجلٌ خمسيني بسيط من أهالي الخالص على
الشبكة، وصاح بصوت هز الزنازين:

ولكم... أشجاكم؟

ما بقى كتاب ما قرئته؟

القرآن حفظته

تالي تالي هاي نتيجة دراستكم؟

والشعب العراقي يبني آماله عليكم، أنتم قادة المستقبل، وهسه

تتضاربون بالصحون؟

وين صلاة الليل؟

وين الأدعية؟

سكت الجميع... كأن على رؤوسنا الطير.

ذلك الرجل، البسيط، الصامت، الذي لم يكن يُكثر الكلام، قال ما
لم يستطع أكبرنا أن يقوله.
بعد ان قضيت في المحجر ستة أشهر، شفيت تدريجياً من التدرن،
لكن اثاره بقيت.
أعادوني إلى (ق ١) ...

صديقي ابن القرية صادق زين العابدين

صديقي ابن قرية بشير، صادق زين العابدين اكبر، شاباً طویل
القامة، حسن السيرة والسلوك، مفتول العضلات، امتاز بالشجاعة
والشهامة والاستقامة.

كثيراً ما كان يحدثني عن ذكرياته وحبه الأول، وبقي وفياً لحبيته،
يجتزأ ذكراها ووجها الصبوح، كلما أصابته الهموم والغموم.
رأيتُ صديقي صادق مرةً، وقد احاطه الذئاب، ولم استطع اغاثته،
عندما حضر القاضي للمصادقة على اعترافاتنا، لكن صادق انكر ذلك،
وكشف عن آثار التعذيب التي شوهدت جسده، وقال:

انها انتزعت منا تحت التعذيب!

غضب ضابط التحقيق الملازم حسين، الذي كان يقف بالقرب من
القاضي، فانهاه عليه بالسوط.

وعند العودة، ركله بقوة فأسقطه الى السرداب، ثم اتبعوه يضربونه
بالسياط والهراوات حتى اغمي عليه.

ظن شرطة الامن ان صادقاً مات، وخاطب ملازم حسين المعتقلين:
من لا يعترف .. يموت كما مات هذا الكلب!

ومرة أخرى في (ق ٢) عندما اذن يوماً لصلاة الفجر، وسمعه المنافق
صباح جميل العبيدي، فهدده بالانتقام، وسجل اسمه ضمن المخالفين.
وصلت الوشاية الى الشرطي خليل، الذي امر بإخراجه وتعذيبه،
لكن صادق لم يكن سهلاً، وقد وشم على ساعده الايمن صورة الاسد،
ارادوا مسكه فلم يقدرُوا، كان يقفز من بين أيديهم، ويركض الى نهاية
الممر، وهم مذعورين يتفرقون يميناً وشمالاً، الى ان حاصروه في زاوية
القاف، أراد الشرطي خليل ان يجلده بالسوط الغليظ الذي يحمله، لكن
صادق مسك بالسوط من الطرف الاخر وسحبه منه.

هرب الشرطي بنفسه من قبضة صادق، وتفرقوا من حوله، ثم رمى
السوط في وسط الممر على طول القاف.

عقب السيد محمد الطباطبائي... الله اكبر هكذا الايمان والا

فلا.....

الهلوسة والتعب النفسي

الإرهاب والخوف في ظروف قاسية وشديدة، ولدت بعض حالات
التعب النفسي والهلوسة، والمس وفقدان الذاكرة لدى البعض، لكن
كثيراً منهم يتمتعون بالفطنة، وحسن الحديث وسرعة البديهة، ومن
هؤلاء (ح) عندما تشاجر مع سجين آخر فخاطبه قائلاً:

انت كذا في صورتك الباطنية، وعندما تخرج من السجن، تتحول الى
كذا في صورتك الداخلية.

اعجبني منطقته وقراءته لشخصية الآخر، مما شجعني على ان اسأله:
وكيف انا في صورتي الباطنية، وماذا أكون عندما اخرج من السجن.
فاجابني وهو متذمر من الشخص الآخر:

انت قرداش مسكين فقير.

قلت: وما صورتي الباطنية

قال ابيض مثل القطن!

ومن هؤلاء (ص) كان يأكل مما يحتفظ به السجناء الصائمين، من
طعامهم لوجبة الافطار، وليس له مكاناً غير الشباك، فكان ينفرد
بالطعام حتى يشبع.

وعندما ينكشف امره، يبرر فعله قائلاً:

هو اكو واحد جوعان يخلي اكله على الشباك، انتم شبعانين وأنا
جوعان

فضحكنا معاً، وقلنا له بالعافية أبو ابو جاسم.

علي حسين مريعي

وأذكر سجيناً اظنه من أهالي الثورة في بغداد اسمه (علي حسين مريعي) شاباً طويل القامة، قوي الجسم، سريع البديهة، أصابه المس اثر التعذيب الشديد، لكنه ليس محنون.

كان علي يقول الشعر بعفوية، ويلقيه بصوت جهوري كأنه يلقي خطاباً، وتشد انتباهه قضايا، ويقف عندها طويلاً، لا يلتفت اليها العقلاء.

وذات مرة دخل شرطة الامن فجأة، الى الزنزانة بهراواتهم، يضربون كل من وقف امامهم، فانسحبنا الى زوايا الزنزانة، نحتمي بعضها ببعض.

عندها، عقب علي بعفوية شعراً ما زلت أحفظه حتى اللحظة، وكأنه اختزل فيه كل مشهد الرعب:

إذا أتتكَ المنايا فلُدْ إلى الزوايا فإن الزوايا عليها الناس تقتتل

وكان علي يسألنا أحياناً، ونحن جالسون على أرض الزنزانة: إذا
نجحت الثورة الإسلامية في العراق... شنو تتمنى تصير؟
فيجيبه احدنا ببساطة:

- خلي تنجح الثورة... أنا أصير كناس
- ويسأل سجين آخر: وانت ماذا تتمنى.
أنا هم كناس... بس خلي تصير.
ضحك علي حينها ضحكة حزينة، ثم قال بصوت فيه من الحزن ما
فيه من السخرية:

(لعد اشكد وسخة هاي الجمهورية مالتكم... هالكد كناسين وما
تكفي لتنظيفها)
كلامه كان مؤلماً كالسوط، لم يكن يسخر منّا، بل كان يصرخ فينا...
وكأنه يقول:

- أين أحلامكم؟
- أين تفاؤلکم؟
- أين تلك النار التي كانت تشعل صدوركم؟

ضحكنا لأننا نعرف أن من لا يضحك هنا يموت، لكن علاوي كان
لسان حالنا، عندما يصمت الجميع.

سجادة الصلاة

ذات يوم من أيام الشتاء الباردة، سمعنا مكبرات الصوت، تصدح
بأناشيد الحرب، وهي سياسة اتبعتها السلطة للتعبئة الجماهيرية، عندما
يكون هناك تعرضاً على القوات العراقية.

وهي انذار للسجناء ان يستعدوا للبلاء، وكأن السجناء هم من
دفعوا القوات الإيرانية للهجوم.

ولم يمض الوقت طويلاً حتى اقتحم زنزاناتنا مجموعة من شرطة
الامن عرفت منهم النقيب غالب الدوري وفلاح عاكولة والشرطي
خليل ورائد.

كانوا يخلقون الأسباب، لتعذيبنا وان لم تكن واضحة، لكن هذه
المرّة تناهى الى اسماعهم، قيام السجناء، بتمزيق الغطوة (البطانيات)
وتحويلها الى سجادة للصلاة.

رغم علمهم اننا في فصل الشتاء، وحاجتنا للدفيء اكثر منها للصلاة،
وبسبب قلة عددها، كنا نلجأ الى ان يشترك ثلاثة سجناء ببطانية واحدة.

نعم كانت لدينا مجموعة من فرش الصلاة، حصلنا عليها من
البرطانيات السوداء الصوف المتهرئة لقدمها وعدم فائدتها، وكنت
احتفظ بواحدة منها.

كانت الوشاية قديمة، ورغم تفاهتها لكنهم يحتفظون بها لمثل هذا
اليوم، ليعبروا عن حقدهم وجرمهم.

نادى فلاح عاكولة على المراقبين يدعوهم: بإخراج أي سجين عمل
على تحويل البطانية الى سجادة صلاة، وكنتُ احتفظ بواحدة منها،
وهدد النقيب الدوري قائلاً:

الا اسويها كربلا... !

اخرجوا من كل زنزانة اثنين وثلاث، وخيم الصمت على الجميع،
الا اصوات سياط الجلاد تتلوى على أجساد المعذبين، وصراخ واوجاع
إخواننا تملأ اسماعنا.

كنتُ في زنزانة (١٨) في الطابق العلوي، ولم يصل الينا التفتيش عن
سجادة الصلاة، فقلتُ للمراقب (ح) دعني اتخلص منها، وارميها الى
الساحة المجاورة من فتحة الشباك.

لكنه رفض وأصر على ان اجلس امام القضبان قرب الباب واضعها امامي.

اقسمت عليه، ان يسمح لي بالتخلص منها، واكف جسدي المتعب من السياط. لكنه ابى الا ان يسلمني الى الجلابد فلاح عاكولة. ووصل التفتيش الى الزنزانة المجاورة، وصراخ المعذبين يتعالى، وما زلت ارجوه ان يأذن لي بالتخلص منها.

فانتابني شعور باحتقار نفسي وتأنيب الضمير، فقلت في نفسي لو كنت متوسلاً بالله ورسوله واهل البيت (ع)

لكان انجاني مما انا فيه، بدل من التوسل بهذا الجبان الخائف. وفعلاً: توجهت بكل كياني، حتى لم اعد اسمع ما يجري، وناجيت الله وقدمت محمد وآله وسيلتي اليه.

فقلت: يا ملاذ الخائفين يا مجير الهاربين، خلصني من هؤلاء الظلمة. حينها وصل فلاح عاكولة، ومن حوله اعوانه ينتظرون إشارة منه، لكنه لم يلتفت الينا .. ومرّ مسرعاً وهو يقول:

ها.. ولك.. (ح) انت ما عندك شي ومضى بخطواته مسرعاً الى الزنزانة التي بعدها!

أراد مراقبنا ان يثبت ولاءه، فصاح عليه: سيدي عندنا اثنين ...
سيدي ... سيدي
لكن الله صك سمعه... او انه سمع لكنه غض النظر، فقد اكتفوا
بالضحايا الذين عندهم.

وما إن ابتعد فلاح عاكولة خطوات قليلة، حتى شعرت أنني أتنفس
لأول مرة منذ ساعات، وربما منذ أيام. لم أصدق أنني نجوت، لا بعقلي،
ولا بحيلتي، ولا بوساطة أحد، بل بدعاء خرج من أعماقي، بدمعة
حبستها في الظلمة، ووجه توجه نحو الإمام المظلوم في ظلم المطامير.
التفتُ إلى المراقب (ح)، فإذا به مذهول، كأن شيئاً من خارق الإرادة
قد حدث أمامه. تتم بكلمات غير مفهومة، ثم جلس في زاويته مرتبكاً.
أما أنا فجلست على سجادة الصلاة، ليس للصلاة وحدها، بل
لأبكي شكراً... لأذوب في لحظة رجاء تحقق فيها النداء.

ما شرف الرجل سوى كلمة

بين آونة وأخرى، تحاول إدارة السجن، اختبار معنويات السجناء، وتأثير ضيق السجن على نفوسهم، ومدى تخليهم عن المبادئ التي آمنوا بها، او عندما يبحثون عن ضحية لافتراسها.

ومنها ما جرى للسيد جبار من أهالي الزعفرانية. اذ طلب منه المفوض فلاح عاكولة، ان يشتم السيد الخميني، فامتنع السيد جبار!

وقال: اني لا اشتم احداً

لكن الجلاد اصر على ان يشتم، وكبل يديه ورجليه، وزاد في تعذيبه، حتى اغمي عليه، ولم يتركه، وكلما افاق من غيبوبته جلده، وكان يرش الماء البارد على وجهه حتى يستفيق.

ومن مواقف الفخر والاعتزاز، ما كان للسجين السيد إبراهيم التتنجي، اذ طلب منه عاكولة، ان يعاونه على جلد احد السجناء، لكنه

امتنع، وألح عليه الشرطي، واشتد في تعذيبه، لكنه ازداد اصراراً، حتى
آيس منه وتركه وانصرف.

عيد في زنزانة

منذ صغري وانا أرى في ليلة العيد، والذي مع رجال القرية،
يحرصون على رؤية هلال العيد (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته)
فيرتقون تلاً في اطراف قريننا، غير مهتمين ببيان الحكومة الذي تصدره
بإعلان يوم العيد.

حتى اعتاد الناس على تسمية (عيد الحكومة) لمن يفطر مع بيانها.
ليلة الاثنين من يوم ١٢ تموز سنة ١٩٨٣ أعلنت اللجنة العليا التابعة
للحكومة، عن رؤية الهلال، كنتُ في (ق ١) زنزانة ١٥ عندما ارتفع
صوت ام كلثوم من التلفاز (الليلة عيد ...)

لكن لم يفطر احدٌ منا، وتهيأنا لصيام تكملة عدة الشهر، مثلما كان
يفعل اباؤنا، عندما يصعب عليهم رؤيته، ينتظرون خبراً من المرجعية
الدينية لإثباته، او يصومون ذلك، واحياناً اخرى يسافرون.

واصبحنا على قرقة مفاتيح السجان، ودخول وجبة الإفطار التي
كانت من الشوربة، وقام مجموعة الخدمات بتوزيعها على الزنانات.

كنا جميعاً صائمين، الا من كان معذوراً لمرض، فلاحظوا تباطؤ
السجناء عن استلام وجبة الإفطار، وغير نشاطهم في حركتهم، وما زالت
سيما الصيام بادية على وجوههم.

ولانهم غير بعيدين عما نقوم به، فقد اكتشفوا صيامنا لهذا اليوم،
ولان نفوسهم مهزوزة، فقد اعتبروها فرصة للتزلف وكسب رضا
الجلاد.

سارع يقظان ومجموعته بنقل خبرنا، الى فلاح عاكولة والشرطة
الذين معه قائلاً: سيدي، هؤلاء ما يفطرون إلا مع الخميني!
ما اسرع ان حضر النقيب غالب، ومن حوله مجموعة من اعوانه،
وامر بإخراج الصائمين.

تطوع من كل زنزانة ثلاثة او أربعة، على انهم صائمون فقط، وبدأت
حفلة التعذيب، وكأنهم ذئاب يتلذذون بصراخنا.
كان المراقب في زنزانتنا، شاب طيب يرجو الخير للجميع اسمه
(علي) وندعوه علي بريمز، لا اعرف سبب التسمية، هل هي مهنته؟

كان الرجل صائماً، لكنه وقف على القضبان، واخرج سيكارة
وضعها في فمه، واخذ ينفث دخانها، فلما وصل الدوري اليه قال:
سيدي نحن كلنا فطرنا مع الحكومة.

فلما رأى الدوري: دخان السيكارة من فمه، ابتسم وعقب قائلاً:
عفارم، وتابع طريقه نحو الزنزانة التالية

استمر الدوري بتعذيب الصائمين، وامر بجمعهم في زنزانة (١٨)
وعزلهم وغلق القضبان ببطانيات سوداء، وتقليل وجبة الطعام الى
النصف.

قضى الصائمون العيد في زنزانة مظلمة، بلا طعام، بلا نور،
وبأجساد مضرّجة بالدماء... قضوا العيد كقرايين بشرية، بينما أم كلثوم
ما تزال تغني الليلة عيد...

تمرد في ابو غريب

شهدت سنة ١٩٨٦ انفراجاً قليلاً في الاقسام المغلقة، بعد استبدال النقيب غالب الدوري ومجموعته، الذي كان المسؤول المباشر على قسم الاحكام الخاصة في ابو غريب.

اثر تورطه بفساد اداري ومالي، كما اشيع لاحقاً.
و كأن الزمن أرخى قبضته قليلاً، فلم يسمعوا وشاية المنافقين،
واستبدل المراقبون ومجموعة الخدمات، باخرين نحن اخترناهم.
واصبحنا نحیی المناسبات الدينية، ونقيم صلاة الجماعة و المجالس الحسينية علناً.

و ذات ليلة من شهر رمضان المبارك، كنت في زنزانة (١١) اقرأ دعاء السحر بصوت خافت، طلب منا احد الاخوان واسمه (فريد جاسم) من اهالي الناصرية قائلاً:

- ادعو لأخيكم علي بالشفاء، فانه في غيبوبة وحالته سيئة جداً.

كان علي في العقد الخامس من عمره، رجلاً فاضلاً هادئاً من أهالي الكوت، يوصينا بالصبر والثبات، وكان وجوده بيننا يبعث الطمأنينة في نفوسنا.

هاجمته الامراض حتى ضعف جسده، نتيجة سوء التغذية وعدم التعرض للشمس، وتلوث الاجواء، ولم يمضِ الوقت طويلاً حتى تناهى الى اسماعنا خبر وفاته.

لقد احزننا موت اخينا علي، وحدث في نفوسنا رعدة، فاليوم علي وغداً نحن، وقام الخدمات بتبليغ ادارة السجن بموته.

الا ان ردة فعل ادارة السجن للخبر، كانت اشبه بالشهامة والاستهزاء في حضرة الموت.

فعقب احدهم قائلاً:

ها ... خميني فاطس، راح نجى نأخذه ونرميه للكلاب!
حملوا الجسد الذي كان ينبض بالحياة قبل قليل، واخرجوه ملفوفاً ببطانية سوداء من الزنزانة رقم (٨) وسط دهشة اخوانه الذين كان يعيش معهم، وتعالى اصواتهم بالبكاء والنحيب، ارتفع صوت أحدهم بالتكبير (الله اكبر) فردد معه الباكون بقهر (الله اكبر) وسمع التكبير

سجناء (ق ٢) الذي لم يبعد كثيراً، فرددوا (الله أكبر) دون ان يعلموا ما الامر.

كانت لحظة تفجر فيها الحزن والغضب، وانفجر فيها الصوت في الحناجر المحبوسة فأصيب رجال الشرطة بالذعر، وظنوا ان السجناء، سيهاجمونهم.

طرحوا الميت بالأرض، وهربوا وعقب أحدهم ساخراً:
إحنا ما قتلناه، عزرائيل قتله... تريدونا نحارب عزرائيل
فأجابه واحد منا...

أنتم قتلتموه بالجوع والعطش والتعذيب والخوف وعدم اخراجنا
للسمس، وظلت اصواتنا تلاحقهم
الى ان تواروا خلف الابواب.
بعد أكثر من ساعة عادوا، ومعهم عدد أكبر، أرادوا كسر هتافنا
بكثرتهم.

سحبوا الميت بحذر، وسط هتافاتنا التي عادت أقوى واكثر تحدي:
الله أكبر... الله أكبر

وبعد برهة وصل الرائد طارق، الذي خلف غالب الدوري،
بالإشراف على اقسام السجن، وحاول السيطرة على الموقف، غير انه
جوبه بالهتاف مرة أخرى (الله اكبر)

وتفاجأ السجناء، وهم من وراء القضبان، برميهم بقنابل يدوية
(مسيلة للدموع) سقطت وسط (ق ١ - ق ٢)

وظن الجميع انها النهاية، لما اعتدناه من ردة فعل السلطة، لكن الله
دفع ما كان أعظم.

وصلت قوة عسكرية الى السجن، واحاطت الأقسام المغلقة،
ودخلت مجموعة من ضباط الامن الى القافات، ووعدوا ان ينقلوا
معاناتهم الى مديرية الامن العامة.

خفت كثير من الإجراءات، وسمح لنا ما كان ممنوعاً علينا، ومنها
فتح أبواب الزنزانات داخل القاف، لمدة اربع ساعات يومياً للمشبي
والحركة، فالتقى الأخ اخاه الذي حجبتة عنه الجدران منذ سنوات،
بعدها سمحوا لنا بالخروج الى الشمس في الساحة الجانبية الصغيرة،
ولأول مرة منذ اكثر من سبع سنوات، تعرضت اجسادنا الى الشمس،
ولان ابصارنا اعتادت الظلام، فلم تقوَ على الرؤية.

عودة التكبيرات

الموت في زنزانة بعد سبع او ثماني سنوات، نتيجة الظروف القاهرة التي نعيشها، وبعيداً عن الاهل والاحبة، كان هاجس قلق للسجناء في الأقسام المغلقة، فقد ازداد عدد الذين التحقوا برهبهم دون وداع، اذ ارتحل عنا الشاب ضياء عبد الأمير من أهالي الكرادة، الذي نخر التدرن رثتيه، ومن قرية التسعين عيسى رضا موسى ومن قريننا فائق فؤاد وحيدر قاسم، ولحقهم الأخ عبد المنعم كاظم من أهالي البصرة.

كان الوقت ليلاً حياً أراد مع زميله مراجعة (سورة آل عمران) فلما بلغوا الآية (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)

شعر عبد المنعم بالتعب فقال: نكتفي بهذا، واوى الى فراشه. أراد زملاؤه ايقاظه الى صلاة الفجر، لكنه كان قد فارق الحياة. كانت ردة الفعل في الزنزانة (٥) ان ارتفعت أصواتهم بـ (الله اكبر) وانتشر خبر وفاة الشهيد في الزنانات فهتفوا معهم، وتضامن معهم نزلاء (ق ٢) يشدهم المصير نفسه.

هرعت إدارة السجن الى القافات في محاولة الى خنق أصواتهم، التي سمعت خارج اسوار السجن.

لكن المفاجأة التي لم تكن في حسابهم، ان السجناء تصدوا لهم، بما في أيديهم من الأحذية.

اتصل الرائد طارق بقوات الطوارئ، واخبرهم عن الموقف والاحداث في سجن أبو غريب..

وقبل ان تصل إدارة السجن، وتتخذ إجراءات، قد لا تكون في مصلحتنا وقف مسؤول الخدمات، الحاج رحيم شغاتي، وهو معلم من اهل العمارة، ذو مكانة اجتماعية وذو حكمة، وقد اولاه السجناء ثقتهم، وإدارة شؤونهم، بالتفاوض مع إدارة السجن وقال:

(ليس التصعيد من مصلحة السجناء، لكننا استطعنا ان نوصل صوتنا الى الجهات العليا)

وأضاف حجي رحيم، علينا التحلي بالصبر، والكف عن الهتافات، والدخول الى الزنانات، وممارسة حياتنا اليومية، والالتزام بالهدوء وتنظيف الممر، ورفع كل ما يدل على الفوضى داخل القاف، فانهم يحاولون جونا الى ما لا يحمده عقباه، وننتظر ما تؤول اليه امورنا.

وفي اليوم الثالث وصلت لجنة للاطلاع على الموقف، والاستماع الى
السجناء، وتحدث رئيس اللجنة من خلال مكبرات الصوت.
غير ان مسؤول الخدمات، دعاهم للدخول الى (ق ١) ومشاهدة ما
يجري امامهم، لكن الرائد طارق حذرهم ومنعهم، خشية ردة فعل
السجناء وقال: (يريدونكم رهينة)

استطاع الحاج رحيم اقناعهم وطمأنتهم حتى دخلوا وشاهدوا،
وليس هناك ما يدل على التمرد والعصيان.
وقال لهم الحاج رحيم:

لو كان الانتحار جائزا في الإسلام، لانتحرنا وخلصنا أنفسنا من
هذه الأوضاع، ونقل لهم أوضاع السجناء، والظروف الصعبة التي
يعيشونها، والامراض التي تفتك بهم، والجوع ومنع زيارة عوائلهم لهم
منذ ثمان سنوات.

فتظاهر رئيس اللجنة بالدهشة والاستغراب، الا انه أخبرهم، بنقل
معاناتهم للقيادة، ولم يمضِ الوقت طويلاً، فقد سمحوا للعوائل بزيارة
أبنائهم بعد تسع سنوات من القهر والجوع والمرض، واعفاء الرائد
طارق من مسؤولية الأقسام المغلقة.

كان لانتهااء الحرب العراقية الإيرانية، الأثر الكبير في تحسن ظروف
السجناء، اذ كانوا يعتنوننا بـ (الطابور الخامس)^(١)
كما كانت تكبيراتنا خناجر في قلوبهم، تذكرهم اننا لا نخافهم، رغم
الأغلال والجوع والموت، وان الله أكبر من الجلاد.
وسط هذه المحنة، كان القدر يعدّ لي لقاء لا يُنسى... لقاءً بإنسان لم
يكن يشبه أحداً.

(١) - مصطلح يشير إلى أشخاص يعملون لصالح عدو خارجي .

مجلس عزاء في الزنانة

بعد غيابٍ دام ما يقارب ثمان سنوات، سمحت إدارة السجن لنا
بلقاء أهلنا على شكل وجبات، في زيارات قصيرة، أشبه بنوافذ صغيرة
نطل منها على الحياة التي سرقت منا.

بعد فراق طويل، نسينا فيها، الصورة الحقيقية لإبائنا وامهاتنا، الذين
غير وجهوهم تعب السنين.

كانت الزيارة كأنها مبعث جديد لأرواحنا المعذبة، ولكنها حملت
معها وجعاً يفوق التعذيب، فقد يقف السجين امام والديه او أخوته
وهو لا يعرفهم.

كنت في قسم (الميم) يومها، أترقب الزيارة الأولى التي سأرى فيها
أمي وأبي. قلبي كان يطرق صدري طرقاً غير مألوف، واللهفة أرهقت
أنفاسي، حتى كدت لا أطيق الانتظار.

رأيت رجلاً يبدو كأنه تجاوز التسعين، يمشي متكئاً على عصاه،
بخطى متثاقلة، والهَمّ منقوش على قسَمات وجهه. مرّ من أمامي ولم
أعرفه، ولم يعرفني... مضى ببطء، حتى سأَل أحدهم عن رضا عباس.
اهتز قلبي، وتجمدت في مكاني... فجأة جاءني ابن عمتي حسن
عباس وهو يقول:

لماذا واقف هكذا؟ ذاك والدك... جاء يبحث عنك.
سمعني أبي، فاستدار نحوي، وأنا أسرع نحوَه، وعندما صرت
أمامه، نظر إلي وقال:

أنت ولدي... رضا؟

قلت: نعم يا أبي.

فتح ذراعيه، وتعانقنا طويلاً، لم أبك ولم يبكِ هو، فطالما كان جلدًا
صبورًا، لم يضمّني إليه إلا مرتين طوال حياتي، وهذه هي الثالثة...
لكنها كانت الأخيرة.

ثم جاءت أمي... الحنونة كما عهدتها، ومعها أختي الوحيدة. تعانقنا
بحرارة، وحاولت أن أتماسك، أن أبدو صلباً، حتى لا تترك زيارتهن في
قلبي وجعاً يكسرني، كنت أقول لنفسي:

كن قوياً يا رضا ... لا تُرهم دموعك.
لكنني لم أستطع... انحدرت دمعاً حارقة على خدي عندما رأيت
ملامح أُمي وقد تغيّرت كثيراً، رغم أنها لم تكن تتجاوزت الخامسة
والأربعين من عمرها، بدا الشيب وكأنه نبت فجأة في شعرها، وتجاوحت
الحزن حفرت في وجهها أخاديد العمر.
أدركت حينها كم سرقوا منا، وكيف اغتالوا زهرة شبابنا، وأمل
أمهاتنا.

بعد انتهاء الزيارة، عدت إلى زنزانتي وأنا أحمل فوق ظهري أثقالاً
من الحزن والخذلان، شعرت وكأن ظهري قد انحنى قبل أوانه... لكنني
لم أستغرب، فالأيام التي عشناها كانت كفيلة أن تشيب الولدان، وأن
تسرق الطفولة والرجولة معاً.
ولم اجد ما ابث فيه حزني وألمي غير القلم، فكتبت ما جال في
خاطري:

انتظار الأحبة في قاعة ضيقة كئيبة
دخلوا من باب أناس وجوههم متعبة

اجسادهم نحيلة مرهقة
التقت الأنظار بالأنظار
كأصحاب الكهف بعضهم كبعض ناكرون
تعانقت الأرواح ثم الأجساد مع الأجساد تعانقت
العيون الذابلات بدموع الأسى اغرورقت
و مع دموع فرحة اللقاء امتزجت
كان الزمن في لقاء الأحباب قد تسابق
لحظات لا أدري كيف مرت
دق الجرس ومعه القلوب، قد دقت جاء الغدار
الزيارة (المواجهة) انتهت
قام الأب والأم وقد انحنى
قبلة الوداع مع الدموع قد طبعت
قالت متلعثمة ما اكتفيت من ابني كيف انتهت
قلت أماء لقاءنا كحللم في يقظة تحقق
هكذا المرء في حال الاحتضار
كأنه من الشمس إلى الظل انتقل

أماه لا تأسفي غدا

هناك اللقاء

لكن رحمة الله كانت معنا... بلطفه صبرنا، وبرعايته بقينا أحياء،
رغم أن أرواحنا كانت تموت ألف مرة.

في الزيارة، قال لي أبي بصوت هادئ:

يا ولدي... كن صبوراً، فكل ما يصيبك ويصيبنا بعين الله، وهو لا
يبتلي إلا من أحبهم.

كلماته ظلت ترنّ في أذني، وكتبت له خاطرة شعرية بعد زيارته، لكن
للأسف... صودرت أثناء تفتيش الزنزانة، ولم يبقَ منها سوى هذا
البيت المحفور في الذاكرة:

إن من مثلك أباهُ جَلِدُ هيهات أن يهرعه الغدرُ

مرت شهور ولم يعد والدي إلى الزيارة. كلما سألت أمي أو أختي،
قالتا إنه مشغول في الزراعة أو بحراثة الأرض... لكنني لم أقنع.

في الشهر الرابع، لم أعد أحتمل، سألت أُمِّي بِالْحَاحِ، فتهربت من الإجابة، واختبأت خلف أعذارٍ واهية.

وفي ليلة ما قبل الزيارة التالية، رأيت رؤيا غريبة:
أبي يمشي على سطح بحرٍ واسع، يتزحلق على الماء بخفة، ثم يلتفت إليّ ويقول:

في أمان الله... يا ولدي.
استيقظت مذعوراً، تملكني شعورٌ مرٌّ لم أستطع تفسيره. سألت نفسي: أُمِّي رؤيا؟ أم أضغاث أحلام؟
لكن قلبي قال لي: لقد مات أبي.

وفي اليوم التالي، لم تقل لي أُمِّي شيئاً عن وفاة أبي. لكنني كنت أقرأ الحقيقة في عيون رفاق الزنزانة... نظراتهم لم تكن كسابق عهدها.
رأيت بعضهم يفرش الأرض، ويتهياً لشيء غير معتاد... الشكوك بدأت تعصف بي. سألت صديقي السيد محمد من العمارة، فقال لي: لا شيء يا رضا، لا تقلق.

ثم جاءني الأخ عبد الرحمن موسى عمران يناديني ... قلت له: ليس وقتاً للمزاح!

قال بهدوء: هيا نتمشى في الساحة.

مشينا معاً، وبدأ يحدثني عن الصبر، وعن فقد الأحبة، ويقرأ لي آيات من القرآن، وأحاديث عن البلاء والابتلاء.

زاد شكّي، فقلت له:

أبو قاسم ... أنا رأيت رؤيا، وأظن أن أبي مات.

فأجابني بنبرة حزينة:

إذن فلنقرأ الفاتحة.

قرأنا معاً، ثم قال لي:

كن مؤمناً ... صابراً. إخوانك في الزنزانة هَيَّأُوا كل شيء. الآن سيأتي

السيد هادي الشوكي ليقرأ مجلس العزاء.

عدت إلى الزنزانة ... كان الرفاق يقرأون القرآن الكريم.

ثم وقف السيد هادي يخطب عن الصبر، عن فقد الأحبة، عن أجر

الصابرين.

بدأ السجناء يصافحونني، يواسونني، كلٌّ منهم يقدم شيئاً:

منهم من قال: أهدي والدك ختمة قرآنية، وآخر قال: أصوم عنه شهراً، وآخر: أصلي عنه شهرين ما في ذمته.

حدثني امي عن آخر لحظات حياته، انه أرسل في طلب أحد أصدقائه (المعلم قاسم تقي آل جوبان) .

قال له:

- انك يحتاج كثير الزيارة الى كربلاء، ارجو ان تجلب لي كفناً وتربة حسينية، وما يحتاجه في غسل الميت.

وبعد ان جاءه بها، تمدد والدي على فراشه، وطلب من الحاج قاسم، ان يفصل الكفن حسب مقاسه.

وطلب منه ان يكتب وصيته، وسلمه مبلغ من المال، منها لرد المظالم وصلاة القضاء والصوم عما في الذمة، ومصاريف العزاء.

كانت والدتي تقف بالباب تسمعه، فقالت له:

- يا حاج: لو ابقيت لولدك الذي في السجن بعضاً منه، فهو وحيد ليس له سند؟

- اجابها ابي: ان كان ولدنا عاقلاً عارفاً لحقوق الله، لا يحتاج الى مال فيه حق الله، وان كان جاهلاً عاصياً لله، كيف اترك المال لمن يعصي الله؟

بعدها ضعفت قواه، وقلت حركته، وانقطع عن الطعام، وصوته لا يكاد يسمع.

ارادتُ امي التخفيف عنه، قالت له:

- حاج لقد اطلق سراح رضا، وسوف يصل بعد قليل!
- اجابها بصوت لا يكاد يسمع: ان ابني منذُ أسبوع يقف في باب الغرفة، يقول لي: ابي هذا قصر بنيتك لك!

واردف قائلاً: قومي واستقبلي الامام الحسين، لقد حضر ومعه ابننا. وفيما هو كذلك اغمض عينيه، وصعدت روحه الى بارئها يوم

١٩٩٠ / ٢ / ٢٣

- رحل أبي... بعد أن صارع القهر والمرض والفراق.
لكنه علّمني في وداعه الأخير أن يكون للرجل صبرٌ يشبه الجبال، وأن البكاء لا يُنقص من الرجولة شيئاً... بل يكملها.
وحدثني صديقه عاصي رحمة حسين قائلاً:

ذات مرة كان الحاج عباس يقود جرار (تركتر) لحراثة الأرض في مزرعته، عندما طلب منه رجلاً، ان يقوم بسحب سيارته، التي غطست في الوحل، فأسرع الحاج عباس معه، وهو لا يترك معروفاً.

وبعد ان سحب السيارة، شكره صاحبها، وزوده برقم تلفونه، قائلاً: حاج انا ضابط في المخابرات، وهذا رقم تلفوني، وانا مستعد ان اقضي لك أي حاجة تطلبها.

فانزعج الحجي ورد عليه: انا عملتها لله، ولو كنتُ اعلم انك في المخابرات، ما سحبتها لك، رغم ان لي ولداً مغيباً في السجن، لا اريد منك شيئاً، لكنني رجوتُ الله ان اراه.

وتعجب الضابط من رده الجريء، ونقله الى أصحابه، وعقب أحدهم قائلاً:

هذا الموقف لا يفعله الا الحاج عباس امين.

ازداد حزننا وألمنا بعد الاطلاع على الأحوال المعيشية لعوائلنا، والمعاملة القاسية، التي يتلقونها من شرطة الامن، وحرس السجن، وضعف الامكانيات المادية للكثير منهم... حتى إن بعضهم لم يتمكن من زيارة أبنائه بسبب فقره.

وبعد زيارة امي واختي وما سمعت من اخبارهم، عدتُ الى
الزنزانة، فلم اتمالك دموعي التي انحدرت على خدي، فقد بدأت رحلة
أخرى من الألم، فلجأت الى القلم اكتبُ:

جئتمونا زيارة خاطفة
كالبرق بسرعة فائقة
لم تكتحل عيناى من رؤيتكم كالأنجم الساحرة
سلبتم فؤادي وعقلي وتركتموني حيران تائهة
لم أرتو من رؤيتكم ونبضات قلبي صاعدة
شوقاً للقياكم يا الأفاضل
مصافحتكم جميلة آخذة
صافحتكم كأنها الكواكب تصافحني سعيدة فاخرة
متى نلتقي بكم ثانية
وتستضيء غرفتي العاتمة
ونتشرف بلقائكم ونفرح
كالنحلة بالأزهار الزاهية

ونتجاذب أطراف الحديث

وأحاديثكم جذابة باهرة

حين خان الصديق...

ثمة رجل من أهالي الناصرية، في العقد الرابع من عمره، يقضي أكثر الوقت صامتاً، لا يتكلم، فاذا تكلم لا يسمع الا همساً، لا يطلب ولا يعترض، واذا سأله لا يزيد عن الاجابة، مأمول خيره ومأمون شره، يغلب عليه الهدوء الممزوج بالحزن والاسى، كأنها الحزن صديقه، قلتُ في نفسي: كيف تم اعتقاله؟ وطبعه ساكت معظم الوقت.

سحرنى صمته، وجذبني هدوؤه، فجلستُ يوماً بجواره وسألته:

ابو علي، كيف تم اعتقالك وأنت أكثرنا صمتاً؟

اهتزّ رأسه بعفوية، كما يفعل دائماً، من الأعلى إلى الأسفل، وأجاب

بصوت خافت:

دعنا عن هذا....!

قلتُ بالله عليك الا ما حدثتني، فاني استمتع بسماع قصص المعذبين.

تنهّد تنهيدة ثقيلة... كأنها كانت محتجزة في صدره منذ زمن، شعرتُ

انه يخفي في قلبه وجعاً.

ألفت الى اليمين والشمال ... ثم قال:
كنت نائب ضابط في القوة الجوية، وصديقي طلب مني قرضاً حسناً
(مئة دينار) وقال إنه سيرده خلال شهر أو شهرين.
مضت الأشهر، ولم يردّها. كنت أذكره كلما استلمنا راتباً، وذات مرة
ألححت عليه وقلتُ:
وعدتني ان تردّها خلال شهر او شهرين ... والان مضى عليها وقتاً
طويلاً.
فأقسم بالله انه يسددها خلال هذا الشهر.
وبعد انتهاء الدوام، كنا نتمشى في أروقة المعسكر، ونتبادل الحديث
مثل كل يوم، ثم سألني:
أبو علي... ما رأيك في الحرب الدائرة بين العراق وايران؟ واي
الطرفين مع الحق؟
ولأنه صديقي، وطالما اكلنا وشربنا وضحكنا معاً، قلتُ له بكل
وضوح:
الحق واضح مثل الشمس... احنا اللي هجمنّا، واحتلينا أراضيهم،
وحتى جيش نظامي ما كان عندهم.

بعد ساعة، كنا في بهو الضباط، نصلي ونجهّز عشاءنا... وفجأة
جاءت لاندكروز فيها ثلاث مسلحين ونادوني باسمي: حسين... الحلو
قلتُ: نعم

ساقوني بالقوة، وعصبوا عيوني وانهالوا عليّ باللكمات والاهانات
امام رفاقي.

وقادوني الى غرفة داخل المعسكر، لا تبعد كثيراً، حتى صرت وجهاً
لوجه امام ضابط امن المعسكر.

سألني: هل انت من حزب الخميني؟

قلت: لا أبداً

اخرج جهازاً صغيراً، وضغط زرّه، فارتفع صوتي انا، وحديثي مع
صديقي الذي اقرضته مبلغ المال.

لقد خانني صديقي وظلمني حتى لا يسدد (١٠٠ دينار) وصدق
رسول الله: اتق شرّ من احسنت اليه.

اختلفتني أبو علي بصوته .. وسكت عن الحديث.

تأملت وجهه، وتأكدت أن الصمت أحياناً لا يعني الجبن، بل يعني
أن الكلمات ضاقت عن حمل الجرح.

عاش معنا تلك السنوات القاسية، لا يشكو لأحد، لا يبوح
لأحد... فقط يصبر، ويصمت، ويتنظر شيئاً لا يعلمه إلا الله.
وبعد ان سمحوا للعوائل بزيارة ابنائهم، لم يحضر أحدٌ من عائلته،
لكنه لم يتبرم، وعندما نادوا باسمه بعد سنة، لاستقبال عائلته.
فرحنا له كما لم نفرح لأنفسنا، وقلنا:
الحمد لله... أخيراً جاء من يزوره.
خرج أبو علي، وبعد ساعة تقريباً، اخبرنا احد السجناء وهو يحتنق
بالدموع قائلاً:
شاهدت (أبو علي) جالساً مع رجل طاعن في السن، وملابسه رثة
وممزقة، فسألته عنه: قال هو والدي.
وسمعتُ الرجل يقول وهو يبكي:
ابني... ما عندي فلوس آجي أشوفك... اليوم اقترضت حتى آجي
ما إن سمعنا هذا حتى تحركت نخوتنا...
وجمعنا له مالاً لقضاء دينه، وجهزنا له طعاماً ليسد رمقه، وهياًنا له
ملابس تستر فقره.
ووعدناه ان نسدد له مصاريفه، كلما جاء لزيارة ولده.

فلما سمع ذلك دمعت عيناه، ورفع يديه للدعاء بالفرج.
هذا الشيخ، الذي حذب ظهره الزمن، والذي أفقره الدهر، والذي
حفرت دموعه أخاديد على وجهه، خرج يومها من السجن وهو يحمل
شيئاً من الكرامة والأمل... شيئاً من الإيثار الذي لم يره في غير
السجناء.

لقد كانت سعادتنا يومها أعظم من فرحتنا بزيارة أهلنا.

الكويت... الفخ الذي اسقط صدام

تفاجأ سجناء الاقسام المغلقة صبيحة يوم ٢/٨/١٩٩٠ بإذاعة السجن، تصدح بالأناشيد الوطنية والاهازيج الحزبية، من مكبرات الصوت، التي تمجد صدام والبعث.

رافقها تخلية (ق٣) من النزلاء وتوزيعهم على القافات الاخرى، لاستقبال مجموعة كبيرة من السجناء الجدد، ولم تنتظر طويلاً حتى اطل علينا المذيع (مقداد مراد) يعلن عن عودة الفرع للاصل، واعتبار الكويت المحافظة التاسعة عشر.

ثم علمنا ان السجناء الجدد، هم اهل الكويت الذين قاوموا دخول الجيش العراقي.

قدمت دول الخليج ومنها الكويت كل الدعم الى العراق في حربه ضد ايران، (منا المال، ومنك الرجال) لكنها لم تسلم من بطش واطماع صدام.

لقد حصل صدام على الضوء الاخضر من اسياده، الذين انقلبوا عليه، وما عبارته الشهيرة في خطابه: وغدر الغادرون، الا اشارة عن نقض العهد معه.

لقد دعم الغرب، صدام في حربه مع ايران، وزودته بكل الاسلحة المحرمة دولياً، ولما انتهت الحرب، ارادوا التخلص من هذه الترسانة العسكرية التي يمتلكها العراق، فشجعوه على دخول الكويت، لتكون فخاً لإسقاطه، وتدمير الاسلحة التي يمتلكها.

كان لإحداث الكويت، تأثيراً ايجابياً على السجناء، فقد ضعفت قبضة السلطة، وانشغلت بالورطة التي وقعت فيها، وتقاربت المصالح العراقية الإيرانية، ورفع كثير من القيود عن السجناء.

الانتفاضة الشعبانية

اودت سياسة صدام وغطرسته، الى فشل كل الوساطات الدولية والشعبية، وقرار الامم المتحدة بالانسحاب من الكويت، وكان يبني سياسته على اعتقاد انه شرطي الخليج الذي تفرط به امريكا. وكان سبباً للهجوم البري لقوات التحالف الدولي على العراق، بعد الهجمات الجوية المركزة، التي أنهكت قواته العسكرية. ونتيجة للإحباط الذي اصاب الجيش، ودعوة امريكا والغرب الى التمرد، انطلقت شرارة الانتفاضة من البصرة، وسرعان ما انتشرت في محافظات الوسط والجنوب، ولم يمض يوماً واحداً، حتى كانت ١٤ محافظة تحت سيطرة الثوار. وكما كان الشارع العراقي يغلي، كان سجناء زنانات ابو غريب، تنهياً لاقتحام اسوار السجن، وكسر ابوابه. وتسليح كثير منهم، بقضبان الحديد التي حصلوا عليها من كسر الشبايك، والعصي، وما حصلوا عليه من الآت جارحة.

ولو لا حكمة السيد المجتهد محمد سعيد الحكيم، ونداء السيد محمد
الطباطبائي، لحدث ما لا يحمد عقباه.

كان اقتحام اسوار السجن، قراراً غير مدروس، لكن اخبار الثوار في
المحافظات الجنوبية والفرات الاوسط، وتخلخل الوضع الداخلي،
احدث ثغرة كبيرة في ادارة السجن، التي تهيأت هي للهروب في أي
لحظة.

هذه العوامل شجعت السجناء على التفكير بالهروب، وسمح
بهروب مجموعة كبيرة من السجناء، منهم السيد حسين الشهرستاني
ومعه السيد جعفر الحكيم، بعملية جريئة، هيأها لهم السجين (علي
عريان).

كذلك تخلص من القضبان السيد باقر القبنجي، بعملية لا تخلو من
مجازفة، والاخ عبدالله المظفر بمخاطرة شجاعة واخرون معهم، كل
خطوة منها تستحق الشاء.

ان ارتقاء قبضة السلطة في هذه الفترة، سمح بدخول كل
المحظورات الى داخل الزنزانة، مثل الكتاب والقلم والكاميرا، واحياء

المناسبات الدينية، وإقامة المجالس الحسينية، وتبادل الزيارات بين
قافات الأقسام.

واستغل السجناء، وجود عائلة آل الحكيم، بالاستفادة منهم، وفتح
حلقات دروس الفقه والتفسير.

وكان لوجود اية الله السيد محمد سعيد الحكيم بينهم، اثراً كبيراً في
تحويل ضيق الزنزانة الى افاق رحبة، خفف عنهم كثير من المحن
والصعوبات.

القرار رقم (٢٤١) تموز ١٩٩١/٧/١٤

في تموز من سنة ١٩٩١ كنتُ في الزنزانة ١٤ (ق١) شغلتنني والسجين احمد فلسطين، الخفارة من متابعة ما يجري في القاف، لكنني سمعتُ ضوضاء وحركة ونقاشاً بين مجموعة من السجناء امام التلفاز المركون في اقصى زاوية القاف.

حاولتُ ان أسأل احداً قريباً، لكنهم في شغلٍ عني.
نهضت استعلم الخبر، وما زال الصابون عالق في يدي، حتى تبين لنا عن صدور قرار بالعفو العام عن السجناء السياسيين.
وبين مصدقٍ ومكذبٍ لمصادقية السلطة، فقد عودتنا ان تقول ما لا تفعل، كما في قرار العفو الذي صدر سنة ١٩٨٦ امام وفد المحامين العرب، وقرار العفو سنة ١٩٨٨ وغيرها.

عقب صاحبي احمد قائلاً:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً...

وفي اليوم التالي دخل رائد حامد ضاحكاً، وهو يقول: ابشركم بقرار
العفو عن جميع السجناء السياسيين.

اجابه احد السجناء:

لقد صدر قبله اكثر من اربعة قرارات بالعفو، وما زلنا بين الجدران.
لكن ضابط شرطة الأمن، اكد شمول السجناء جميعاً، وانه صدر
خصيصاً لكم، وسوف نبدأ الإجراءات القانونية، ونطلق سراحكم.
انتظرنا الإجراءات الروتينية، مدة طويلة حتى دبّ اليأس في
نفوسنا، واحتدمت النقاشات بين المتفائلين جداً، ومن اعتبر من
الدروس السابقة.

وبعد مضي خمسة اشهر، بدأت أولى خطوات تطبيق قرار العفو،
بإخراج جميع السجناء الى الساحة الكبيرة، واتخذنا شكل الدائرة في
جلوسنا، وبدأ مدير السجن يتحدث عن العفو، وكتابة طلب خطي الى
السيد الرئيس بالعفو، والتعهد بعدم العودة الى صفوف حزب الدعوة.
امتنع السيد هاشم العذاري عن الكتابة، وقال انا لا اطلب عفواً من
صدام، وكان الأولى هم يعتذرون منا.

السيد هاشم مشكور محسن العذاري من أهالي النجف، كان جريئاً وشجاعاً، له مواقف كثيرة مع شرطة الامن، وتعرض الى كثير من القسوة والتعذيب، حاول السجناء ثني السيد العذاري عن قراره، الا انه كان ثابتاً ولم يتراجع.

وفي خطوة أخرى، تم عزل السجناء الذين لم يشملهم قرار العفو، في القسم التأهيلي، وكان منهم السيد محمد مرتضى الطباطبائي، وكيل المرجع الديني السيد الخوئي في كربلاء، وكان عالماً فاضلاً، ودليلاً للسجناء إذا اظلمت الايام، وكذلك السيد العذاري الذي نقل الى قاطع الإعدام، كنوع من العقوبة، لكنهم اعادوه مرة أخرى، وبعد ستة أشهر اطلق سراحه.

من فراق الأعزة إلى لقاء الأحبة

كل إجراءات العفو التي اتخذتها إدارة السجن، ما كانت ضامناً حقيقياً لتطبيق قرار العفو، وما زال الشك يملأ نفوسنا، وروضنا نفوسنا على القبول بالامر الواقع، لو لم يتحقق ذلك.

ومرت الأيام والليالي، حتى كان صباح يوم ٢٢ / كانون الأول سنة ١٩٩١، إذ أعلنوا عن أسماء الوجبة الأولى الذين سوف يطلق سراحهم، من خلال مكبرات الصوت، وكان عددهم ٢٠٠ سجين.

رغم فرحتنا بإطلاق سراحنا، وحاجة عوائلنا الينا، والتخفيف عن معاناتهم، لكن هاجساً في نفوسنا، ظل يعكر صفو سعادتنا، فقد شعرنا ونحن نودع زملاءنا، اننا سنفتقد قربهم وانسهم واحاديثهم.

ذات مرة سُئل الاسكندر، عن سبب تعظيمه لمعلمه ارسطو، الذي يفوق تقدير والده؟

فأجاب: اما ابي فهو سبب وجودي، لكن معلمي سبب خلودي.

لقد جمعنا الزنزانة، مع العلماء من آل الحكيم والسيد محمد
الطباطبائي، وعالم الذرة الدكتور حسين الشهرستاني وذوي المراكز
الاجتماعية في المجتمع، وتعلمنا منهم كثيراً، وكانوا لنا قدوة حسنة.

اصطف السجناء المفرج عنهم، امام الباب المؤدي الى الممر الذي
دخلنا منه اول مرة، ومرت لحظات كأنها الدهر كله، وزعوا خلالها
ورقة صغيرة، فيها تعهد (تبليغ بالحضور) ومراجعة مديرية امن المنطقة،
التي نسكن فيها خلال عشرة أيام.

صلينا آخر مرة صلاة العشاءين في الممر، الى ان صحبنا الرائد حامد
الى الباب الخارجي، الذي لا نعرف في أي جهة.

امرنا ان نهتف بحياة الرئيس، لكننا التزمنا الصمت، ولم يفعل احد،
وتفاجأنا عندما فتح الباب، اننا امام الشارع العام الرابط بين بغداد
والرمادي.

كان معي من أهالي بشير: رفعت بكتاش وإبراهيم غالب وجمعة قنبر
وآخر.. سألتُ الذي الى جنبي عن وقت الساعة؟

تبرم ورد بجفاء، وهل الان وقت سؤال؟

اجبته: نعم ان ذلك يهمني.

اجابني: الساعة السابعة وعشر دقائق، وهو يسرع الخطى، خشية ان
يسمع كلمة تريث، ويعيدوننا الى السجن.

وقفنا حيارى، لا ندري اين نذهب؟ حتى سمعنا مكبرات الصوت،
تنذرنا بالتفرق خلال دقائق، والا ارجعنا الى الزنزانة!

سرنا مع الشارع الطويل، لا نعرف الجهة التي نقصدها، حتى وقف
بحدائنا رجل، صاحب سيارة حمل كبيرة
سألنا عن الجهة التي نقصدها.

اجبناه: الى بغداد

اذن لنا بالصعود معه، وخلال الطريق لم ننبس بشفة، خشية ان يكون
احد عناصر الامن، حتى وصلنا الى بغداد، ونحن لا نعلم.
تفاجأنا اذ قال: انزلوا ... نظرنا ما حولنا ... رأينا حركة الناس
والسيارات.

سألنا رجلاً مرَّ امامنا عن كراج النهضة؟
استغرب الرجل وأشار الى الجهة الأخرى قائلاً: هذا كراج النهضة!
وما ان عبرنا الشارع، حتى ملأ اسماعنا صوت، ينادي: كركوك ...
كركوك نفرين ...

- هرولنا باتجاه الصوت، وقلنا له: نحن أربعة
- قال اصعدوا، وعلمتُ من لهجته انه تركماني.
- لكن اين نجلس وانت تقول نفرين.
- أجب: هذا تمويه، حتى يصعدون بسرعة!
- كان مكاني الى جنب السائق، ما زال الخوف يملكنا، وكان احدنا يحدث الاخر بالإشارة، او همساً، خشية ان يكون السائق احد عيون السلطة.
- التفت السائق اليّ وقال:
- هل كنتم مسجونين؟
- وقبل ان اجيبه، قرصني احد زملائي من الخلف، فقلت: لا... يا سجن يمعود.
- قال: لكن هيأتكم وحركاتكم توحى انتم سجناء! بالأمس صعد معي مجموعة من السجناء المطلق سراحهم، واوصلتهم الى كركوك.
- اردت تغيير الحديث، سألته ولماذا السرعة في السياقة؟ والوقت ليلاً.

- رد عليّ: لا لم اكن سريعاً، و اشار الى العداد يقرأ (١٤٠)
- انشرح صدري للحديث معه، خاصة لما تيقنتُ انه تركماني، فأخذتُ
احدثه باللغة التركمانية.
- سألته: عن منطقة سكنه، ومن يعرفه؟ حتى وصلنا منطقة الطوز
خرماتو.
- هناك وقف الى جنب المطعم، ونزل معه الركاب للطعام، اما نحن
فقد اكتفينا بالشاي والبسكويت.
- سألته عن مجمع صدام، اين يقع؟
- فلم يستدل عليه، سال السيطرة التي في طريقنا، فأشاروا الى لوحة
مرورية، تشير نحو المجمع، باتجاه تكريت مسافة ٢ كم.
- قال: ما دام انتم سجناء، الا اوصلكم الى بيوتكم، حتى لو بالمريخ!
عزمنا على زيادة اجرتة، لكن عطلاً أصاب اطار السيارة الخلفي
حتى تمزق، فلما رآه السائق قال:
- والله انتم خوش ناس، من أهل الله، لو تمزق الاطار ونحن في طريق
بغداد، كنا نموت جميعاً!

قطعنا المسافة المتبقية مشياً على الاقدام، كانت الساعة الثانية وعشرين دقيقة ليلاً، والشوارع فارغة من الناس، ولا اعرف عنواناً لدارنا غير (مجمع صدام).

طرقتُ احد الأبواب، فلم يجبني احد!
وطرقتُ الباب الأخرى، سمعتُ امرأة من وراء الباب تقول:
-من الطارق؟

- اجبتها: انا ... يمه

- خرجت عجوز، سألتها عن بيت (زهرة علي) حرمة المرحوم عباس امين، اذ لم يكن رجل في بيتنا!
-قالت: نعم اعرفها، هي في الفرع الاخر الذي وراءنا، وقبل وصولي رأيتني ابنة جارنا، وسألتني:
انت رضا؟

- قلت: نعم.

-ركضت مسرعة نحو الدار، وهي تقول: انا ابشر عمتي زهرة،
وانال الهدية!

-سمعت امي بعد ان اخبرتها الفتاة، يرتفع صوتها بالصلاة على محمد
وال محمد.

وكانت لحظات اختزلت كل قهر السنين، وهموم الايام، منذ اكثر من
عشر سنوات، فقدتُ حنان امي وعطف ابي، ودفيء العائلة.
احتضنت امي، وعانقت اختي، وبكىنا حتى احمرت عيوننا، بدموع
غزيرة، وزفرات عميقة.

عزفت امي عن الزينة والملابس، وكل ملذات الدنيا، فقد رأيتها
ترتدي، قماشاً غليظاً، اشبه باكياس الطحين، منذ ان فارقتها وقت
الاعتقال، حتى لا تقدر على تمزيقه حزناً على وحيدها.

ثم توجهت امي الى صورة والدي على الجدار، واخذت تخاطبها:
اين انت يا حبي عباس.. تعال هذا ابنك جاءنا!، لقد كتمت حزنك
على رضا حتى قضى عليك.

وسألتُ اختي باستغراب:

كيف ان امي لم تفقد الوعي؟ ولم يغم عليها، في هذه اللحظة، وهي
تسمع خبر وصولي.
قالت اختي:

مساءً الـامس وصل اثنان من السجناء الى المجمع، وطرق الباب
واحدٌ منهم، واخبر امي بان رضا سيأتي غداً او بعد غدٍ، ولما سمعتُ
الخبر اغمي عليها، وهي اليوم غير متفاجئة بقدومك، وقد تناولت
علاجها.

انتشر خبر اطلاق سراح السجناء، فوصل أولاد عمي واقاربنا
للتهنئة بسلامة الوصول.

وقضيتُ تلك الليلة مع امي واختي، لم تغمض لنا عين، وتحدثنا عن
ذكرياتنا ووجعنا، حتى حان وقت صلاة الفجر.

في صباح اليوم التالي، اشارت امي الى بقرة كانت تربض منذ سنين
في بيتنا قالت:

هذه (الحولية) نذرتها لله، في اول يوم اعتقلوك فيه، وحن وقت
الوفاء، فاذبحوها وادعو كل اقاربنا وجيراننا والأصدقاء للطعام.
وهكذا انتهت صفحة سوداء من تاريخ حياتنا ... لتبدأ معها صفحة
أخرى لا تقل عنها جوراً وتعذيباً.

من سجن أبو غريب... الى السجن الكبير

ورقة (تبليغ بالحضور) التي وقعنا عليها، قبل خروجنا من السجن بساعة، ومراجعة مديرية الامن في المنطقة، كانت مصيدة من حيث لا نعلم، لكننا ما زلنا نعيش في خوف ورعب.

خلال مراجعتنا لامن المنطقة، طلبوا كل البيانات الشخصية، والمعلومات الخاصة، وعنوان السكن.

ورقم التلفون ان وجد في البيت، والغرض منها مراقبتنا ومتابعتنا وتبليغنا بالحضور كل شهر.

وكنْتُ في كل مرة، اذهبُ للمثول امام ضابط الامن، لا اخبر فيها امي، خشية على قلبها المريض، بل كنت اخبر اختي فقط.

و ذات مرة وصلتني ورقة تبليغ بالحضور، فأخبرتها انني ذاهب الى السوق، لشراء الكيماوي الذي نستخدمه للزرع.

سألتني: ومن يصحبك الى السوق؟

اجبتها: جارنا ابو مصطفى، واختي تسمع، وتعرف انني اكذب عليها، خوفاً على صحتها.

وعند الصباح قصدتُ مديرية امن ناحية الرياض، وقد سبقني اليها خمسة من اصدقائي السجناء منهم: الاستاذ هاشم مردان وابراهيم وسامي وعبدالحالق.

امرونا ان ننتظر عند باب احدى الغرف، وقد خيم الصمت علينا جميعاً، وطال وقوفنا طويلاً، ولا احد يسألنا!

عند اقترابي من باب الغرفة، شعرتُ بحرارة تلسع قدمي وتخرج من الفراغ بين الباب والارضية، سمعنا من بعيد سعالاً لرجلٍ في الاربعين من عمره، لم نتبين مصدره.

بدأ القلق يغزونا، بعد ساعتين من الوقوف والانتظار، قطع صمتنا صوت الشرطي وهو يدعونا بزجر، للدخول على السيد الضابط.

خلال دخولنا الى الغرفة، خرج منها رجلٌ في الاربعين من عمره، وهو يلهث ويتصبب عرقاً، ونحن في شهر تموز، وملابسه غير منتظمة.

سأله الضابط: ها... الكهرباء مقطوعة؟

- اجابه الرجل لا سيدي ... ابدأ لا تنقطع.

علمنا فيما بعد، ان الرجل من أهالي الزاب، وقد علق متذمراً: والله
بزعنا من الكهرباء.

سمعت عيون الامن فاعتقلوه، ووضعوه في غرفة مغلقة، بين اربع
مدافئ في فصل الصيف.

دخل هاشم علي اولاً، وسمعت ضابط الامن يشتمه ويخاطبه:
اضبارتك فارغة، انت غير متعاون... انتم لا تستحقون الحياة...
ثم زجره واخرجه

وهكذا فعل مع البقية... الا انا فقد استقبلني بالاسلوب نفسه، لكنه
سلمني ورقة، وامرني ان اذهب الى مديرية امن الحويجة!

دب الخوف في نفسي، وسيطر علي القلق، وسألت لماذا انا فقط؟
خرجنا من امن الرياض... وعاد اصدقائي الى بيوتهم الا انا،
احاطتني كل الظنون السيئة، والسكارة لا تفارق يدي.
بقيت امشي قاصداً امن الحويجة، وقد بلغ بي الجوع والعطش والقلق
مبلغاً كبيراً.

كانت الساعة الثانية ظهراً، تناولت وجبة سريعة في الطريق، توكلت
على الله، وركبت السيارة الى الحويجة.

قضيت وقت الطريق بالتفكير بحال امي، اذا تأخرتُ عليها طويلاً،
وخشيتي ان تسأل جارنا ابو مصطفى، وتنكشف كذبتى، وتعلم
الحقيقة... حتى وصلتُ، وسألتُ عن مديرية الامن، فأشاروا عليّ
بموقعها.

سلمتُ الورقة الى شرطي الحراسة، فاتصل بجهاز اللاسلكي الذي
يحمّله، وانتظرت حتى جاء شرطي آخر صحبني الى الطابق الثاني من
البنية، والخوف والقلق ما زال يساورني، فلا يمنعهم ان يدخلوني
احدى هذه الغرف، ويقفلوا الباب الى اشعار آخر.

أشار عليّ الشرطي ان اقف عند باب غرفة، ودخل هو الى ضابط
الامن... مضى الوقت طويلاً، وانا واقف انتظر مصيري عند الضابط.
رأيتُ شرطياً يتوضأ لصلاة المغرب، فقلتُ في نفسي: لا خير في صلاة
لا تنهى صاحبها عن منكر!

وبعد ان اتمّ وضوءه، أشار اليّ وسأل صاحبه: عن سبب وقوفي في
الباب منذ اربع ساعات؟

- اجابه زميله متهكماً: هذا صديق الرئيس!

- قلت في نفسي: ليتني متُ قبل هذا!

خلال ذلك خرج الضابط المسؤول، نظر إليّ وأنا ارفع قدماً واضع
أخرى من شدة التعب والارهاق، لم يعقب، وقصد المغاسل للوضوء،
ثم صلى ... وطلب لحماً مشوياً للعشاء (كباب) فملأت رائحته أجواء
الغرفة، وتناول الشاي، كل ذلك يجري وأنا أرى واسمع ما يدور،
وكأنني غير موجود.

واخيراً دق الجرس، قادني الشرطي الى غرفة ضابط الامن، سألني:
ما اسمك؟ ... وما تولدك؟ وهو يتصفح اضبارة وضعت امامه.
ثم خاطبني قائلاً:

- ياويل اضبارتك فارغة... ليش ما متعاون ويانا؟

شتمني ... ورماني بكلمات بذينة قائلاً:

الا ارجعك الى امن كركوك وتخيس هناك.

- قلت: سيدي انني فلاح، وعملي يتطلب مني الخروج قبل شروق
الشمس، ولا اعود الا بعد الغروب.

- قال: انت فلاح عند أي ملاك؟

- اجبته: شريكاً مع اسود، واسألوه عني ان كنت كاذباً.

كنتُ خائفاً مرعوباً، وحاولت اظهار ذلك امامه، واظن انه عرف
الملاك، من خلال تغير أسلوبه ولهجته معي.
رفع التلفون واتصل واخذ يتحدث كثيراً، وسمعتة يقول:
سيدي: ان هذا الرقم يقف امامي الان، وهو يرتجف (اجبن من
إسماعيل ياسين) واطلق ضحكة قوية، ملاً صداها ارجاء الغرفة.
ثم أعاد التلفون الى مكانه، والتفت اليّ قائلاً:
يلا روح ... بس باوع عليّ .. اذا اسمع عليك اقل خطأ، ما تلوم الا
نفسك.
خرجتُ وانا غير مصدق ... وحمدت الله على كل حال، وكان
صوت المؤذن يرتفع لصلاة العشاء.
اسرعت الى البيت، وانا قلق على امي ... فوجدتها اكثر قلقاً مني، فما
ان لمحتني حتى صرخت بوجهي:
اين كنت حتى الان؟
اما قلت لك عدة مرات ... لا تتأخر، الا تعرف انني متعبة،
ومريضة بالقلب.
اخذتُ يدها وقبلتها، وحبستُ دموعاً كادت تخرج من عيني ...

قلت لها: امي ادعولي ان لا اتأخر مرة أخرى.

انتهى

رضا عباس امين

قرية بشير ١٢/٦/٢٠٢٥

١٩٦

مذكّرات سجين من قرية بشير

الملاحق والصور

١٩٧

مذكرات سجين من قرية بشير

ملحق (١)

الشهداء من قرية بشير

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)

ت	الاسم	التولد	المهنة
١	اسماعيل حسن صابر	١٩٥٠	معلم
٢	خلف حسن صابر	١٩٥٨	طالب
٣	حسين حسن صابر	١٩٥٩	عسكري
٤	عون الدين حسن صابر	١٩٦٠	عسكري
٥	ابراهيم اسماعيل عاشور	١٩٤٦	معلم
٦	ابراهيم باقر جوبان	١٩٦٠	طالب
٧	ابراهيم شكر توفيق	١٩٥٩	طالب
٨	اسماعيل فاضل شريف	١٩٥٦	خريج كلية الاداب
٩	باقر جمعة كاظم	١٩٥٤	نائب ضابط بالقوة الجوية
١٠	جعفر جواد كاظم	١٩٤٦	معلم

١١	محمد امين جواد كاظم		معلم
١٢	حسين علي نوري مراغالي	١٩٣٦	فلاح
١٣	حسن شاكر	١٩٤٠	معلم
١٤	محمد فاضل عباس	١٩٥٦	عالم ديني
١٥	حسين فاضل عباس	١٩٦٠	طالب في الإعدادية
١٦	ملا حيدر كرم (ضرير)	١٩٣٠	قاريء قرآن
١٧	ذوالفقار حيدر كرم	١٩٥٧	عسكري
١٨	خليل ابراهيم عباس	١٩٦١	طالب في الإعدادية
١٩	خورشيد ولي مرخان	١٩٤٠	معلم
٢٠	زين العابدين خيرالله	١٩٥٩	خريج معهد
٢١	سمين خيرالله مرخان	١٩٤٩	كاسب
٢٢	سمين ديدار ولي	١٩١١	كاسب
٢٣	شكر حسن عسكر	١٩٣٩	معلم
٢٤	شكر محمود شوكت	١٩٦١	طالب اعدادية
٢٥	صابر مهدي موسى	١٩٢٩	حارس محطة القطار
٢٦	عدنان صابر مهدي	١٩٦٠	طالب في السادس الاعدادي
٢٧	صلاح حسن صلاح	١٩٥٥	معلم كاسب

٢٨	عاشور مهدي	١٩٤٨	كاسب
٢٩	عباس اكبر قنبر	١٩٤٨	موظف في مديرية سكك الحديد
٣٠	عباس توفيق محمد جوبان	١٩٥٠	معلم
٣١	عباس جلالي	١٩٥٤	موظف زراعي
٣٢	عبدالامير كاظم توفيق	١٩٥٦	خريج معهد
٣٣	عبدالامير محمد مولود	١٩٧٠	طالب
٣٤	عبد السجاد محمد علي العلو	١٩٦١	طالب
٣٥	عبدالله تحسين محمود المراغالي	١٩٥٧	مهندس ميكانيك
٣٦	عبدالله عزيز المراغالي	١٩٤٣	معلم
٣٧	عبد الهادي كرم قاسم	١٩٥٤	عسكري
٣٨	نوري كرم قاسم	١٩٥٠	مدرس
٣٩	عدنان عادل مردان	١٩٦٠	عسكري
٤٠	عزيز عادل شريف	١٩٦١	خريج اعدادية
٤١	علي أصغر موسى كاظم	١٩٥٦	كاسب
٤٢	علي حسين	١٩٤٠	كاسب
٤٣	علي رضا مختار	١٩٥٩	عسكري

٤٤	علي عبد الواحد	١٩٦٠	طالب في السادس الاعدادي
٤٥	علي كاظم خورماتولي	١٩٣٩	كاسب
٤٦	علي محمد ولي	١٩٥٧	عسكري
٤٧	غائب احمد حاوي	١٩٥٧	عسكري
٤٨	غائب محمد علي القنيت	١٩٢٤	كاسب
٤٩	فائق موسى توفيق	١٩٥٩	عسكري
٥٠	فاضل عسكر محمد القنيت	١٩٥٩	طالب اعدادية
٥١	فتاح غائب سلمان	١٩٥٩	معهد النفط
٥٢	فلاح جمعة سلمان	١٩٦٠	طالب
٥٣	قاسم قنبر علي	١٩٦١	اعدادية الصناعة
٥٤	قاسم قنبر واحد	١٩٦١	اعدادية الصناعة
٥٥	قاسم مهدي مجيد	١٩٥٨	طالب معهد النفط
٥٦	محمد علي جمعة	١٩٥٧	موظف شركة النفط
٥٧	محمد قاسم صالح	١٩٤٧	نائب ضابط
٥٨	مدحت حسين قنبر	١٩٥٨	عسكري
٥٩	مظفر زين العابدين	١٩٥٦	مهندس معماري
٦٠	مردان درمان	١٩٥٩	طالب السادس الصناعي

٦١	موسى جمعة	١٩٥٥	
٦٢	السيد ناظم سيد محمد علي	١٩٦٠	طالب
٦٣	نجاح محمد امين	١٩٥٧	عسكري
٦٤	هاشم اسماعيل قنيت	١٩٥٠	مدرس
٦٥	السيد هاشم السيد عباس	١٩٥٩	عسكري
٦٧	فائق فؤاد اسماعيل	١٩٦١	طالب
٦٨	حيدر قاسم عرسان	١٩٦٣	طالب

ملحق رقم (٢)

اسماء السجناء السياسيين

قرية بشير والتسعين

(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ
إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)

ت	الاسم	ت	الاسم
١	ابراهيم اسماعيل جمعة علي	٦٢	عبد الحسين تقي تقي تقي العنبيكي
٢	ابراهيم غالب عباس علي البشري	٦٣	عبد الرزاق موسى توفيق علي مردان
٣	ابراهيم محمد غريب ابراهيم	٦٤	عبد الرضا صالح مهدي عسكر الصفوي
٤	احسان حسن محمد علي	٦٥	عبد الصمد فاضل عباس علي مردان
٥	احسان علي اكبر حيدر الحمزة لي	٦٦	عبد العظيم غالب علي فيض الله

٦	احسان علي باقي سليمان البياتي	٦٧	عبد الكريم محمد مولود بكتاش بشيري
٧	احمد مصطفى وهاب ساقى البياتي	٦٨	عبد الله كريم مصطفى قنبر
٨	ادريس سمين علي مردان محمد	٦٩	عبد الهادي عادل مردان محمد
٩	اسماعيل ابراهيم عباس علي مردان	٧٠	عدنان ابراهيم بادكار
١٠	اسماعيل اكبر قنبر خليل البشيري	٧١	عدنان جعفر صابر احمد
١١	اسماعيل خليل ابراهيم محمد العلو	٧٢	عدنان جمعة بكتاش خليل
١٢	اشرف فاضل كاظم خورشيد الصالحي	٧٣	عدنان حسن صالح علي
١٣	اكبر عسكر محمد علي	٧٤	عدنان دولت حسن مهدي البوقنيت
١٤	امير حيدر كرم عبد الله	٧٥	عدنان محمد صابر حسين البياتي

١٥	باقر حسن محمد علي	٧٦	علي حسين معروف محمد
١٦	برهان اكبر علي مردان ال عبوش	٧٧	علي سمين اسماعيل عاشور النجار
١٧	برهان علي بهرام علي البياتي	٧٨	علي عسكر ولي علي مطبان
١٨	جاسم محمد بهرام علي	٧٩	علي فاضل خورشيد محمد قلعلي
١٩	جعفر ابراهيم رضا كاظم	٨٠	علي كمال جمعة كوثر
٢٠	جعفر جوبان حميد خليل العلو	٨١	عماد صابر ساقى ولي
٢١	جعفر عباس مردان دلنج	٨٢	عماد عزيز خورشيد حسن
٢٢	جمعة رضا مهدي دماو	٨٣	عون الدين جمعة قاسم مسيب
٢٣	جمعة قنبر مردان دلينجي	٨٤	عوني حيدر كرم عبد الله

٢٤	جمعة منصور تقي علو	٨٥	عوني شوكت قنبر عباس البياتي
٢٥	جواد كاظم خورشيد مصطفى	٨٦	عيسى فاضل عباس مهدي
٢٦	جودت جمال عزيز صادق	٨٧	فائق حسين قنبر ولي
٢٧	حبيب كريم نوري حبيب	٨٨	فائق صابر مهدي موسى
٢٨	حسن رفعت خورشيد محمد البياتي	٨٩	فاضل كمال محمد علي عباس البياتي
٢٩	حسن عباس محمد حسن	٩٠	فوزي علي حسين محمد
٣٠	حسن فاضل عباس صالح	٩١	فيض الله احمد جمعة لطف الله
٣١	حسن محمد حبيب حمدي احمد	٩٢	قاسم مهدي مولود بكتاش
٣٢	حسين جمعة قاسم حبيب	٩٣	قحطان ولي قهرمان علي
٣٣	حسين علي ولي علي	٩٤	كريم اصغر اكبر رستم البياتي
٣٤	حسين لطيف خير الله حيدر	٩٥	كنعان طالب علي فيض الله

٣٥	حمدي موسى كاظم سلمان	٩٦	لقمان حسن مهدي عاشور
٣٦	حمزة شكر فتاح مالي المالي	٩٧	محسن مصطفى محمود مهدي
٣٧	حيدر عبد الكريم صمد فيض الله	٩٨	محمد سلمان صالح علي
٣٨	رجب اشرف سليمان جمعة	٩٩	محمد سمين اسماعيل قاسم النداوي
٣٩	رضا عباس امين محمد	١٠٠	مصطفى خليل ابراهيم محمد
٤٠	رضا ولي حسين علي	١٠١	مصلح يونس اسماعيل مصطفى
٤١	رفعت واحد بكتاش خليل	١٠٢	موسى عاشور ابراهيم كاظم
٤٢	رمزي فيض الله شريف صالح	١٠٣	موفق جلال محمد علي اسعد
٤٣	زكي زمان علي مردان عاشور	١٠٤	ناصر علي زين العابدين عباس الكروي

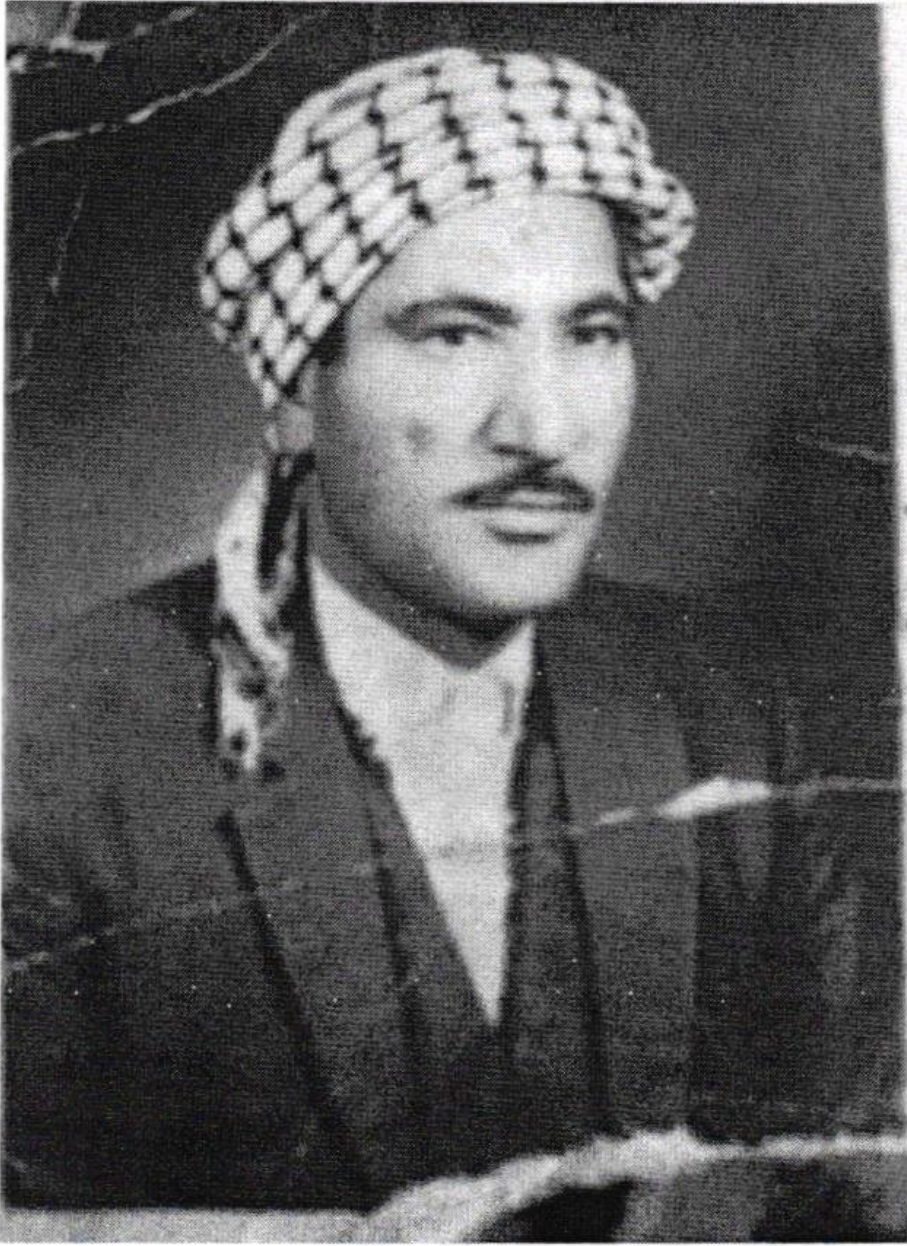
٤٤	زين العابدين حمزة زينل علي	١٠٥	ناظم كاظم عسكر محمد
٤٥	زينل العابدين محمد علي عبد الله	١٠٦	نجاة علي مردان دلنجي البشيري
٤٦	سامي سعدون كاظم صالح	١٠٧	نجدت فاضل كاظم خورشيد الصالحي
٤٧	سرتيب حسين علي رستم	١٠٨	نجدت هاشم شكور علي اغا
٤٨	سعاد فاضل عباس علي مردان	١٠٩	نجف حسن رضا حاتم البياتي
٤٩	شاكر محمود ابراهيم محمد	١١٠	نجف موسى كاظم صمد
٥٠	شريف عبد الله خضر عباس المرادني	١١١	نور الدين ادهم محمد ولي
٥١	صادق زين العابدين اكبر البوقنيت	١١٢	نور الدين حميد شكر فتاح المالي
٥٢	صباح عابد احمد فتاح المالي	١١٣	نور الدين مهدي محمد عباس البياتي

٥٣	صلاح الدين محمد مهدي جاسم	١١٤	هاشم قنبر خليل ابراهيم
٥٤	طه امين دولت حسين البياتي	١١٥	هاشم قنبر علي حسن
٥٥	عادل كاظم موسى حسن البياتي	١١٦	وسام عبدالله سعيد علي
٥٦	عباس خضر عباس موسى اسطالر	١١٧	يادكار تقى خليل احمد العلو
٥٧	عباس رفيق اكبر كوثر	١١٨	يشار عز الدين خورشيد باقر
٥٨	عباس محمد علي محمود مهدي	١١٩	جاسم صادق زناو سفيك صفوك
٥٩	عبد الازل جليل عبد الرزاق عمر الصالحي	١٢٠	محمد هادي عباس حسن
٦٠	عبد الامير تحسين محمود محمد البشيرى	١٢١	يشار رؤوف صابر احمد
٦١	عبد الامير زين العابدين مهدي سليمان	١٢٢	صباح رشيد مصطفى عباس البياتي

ملحق رقم (٣)
صور اعلام قرية بشير

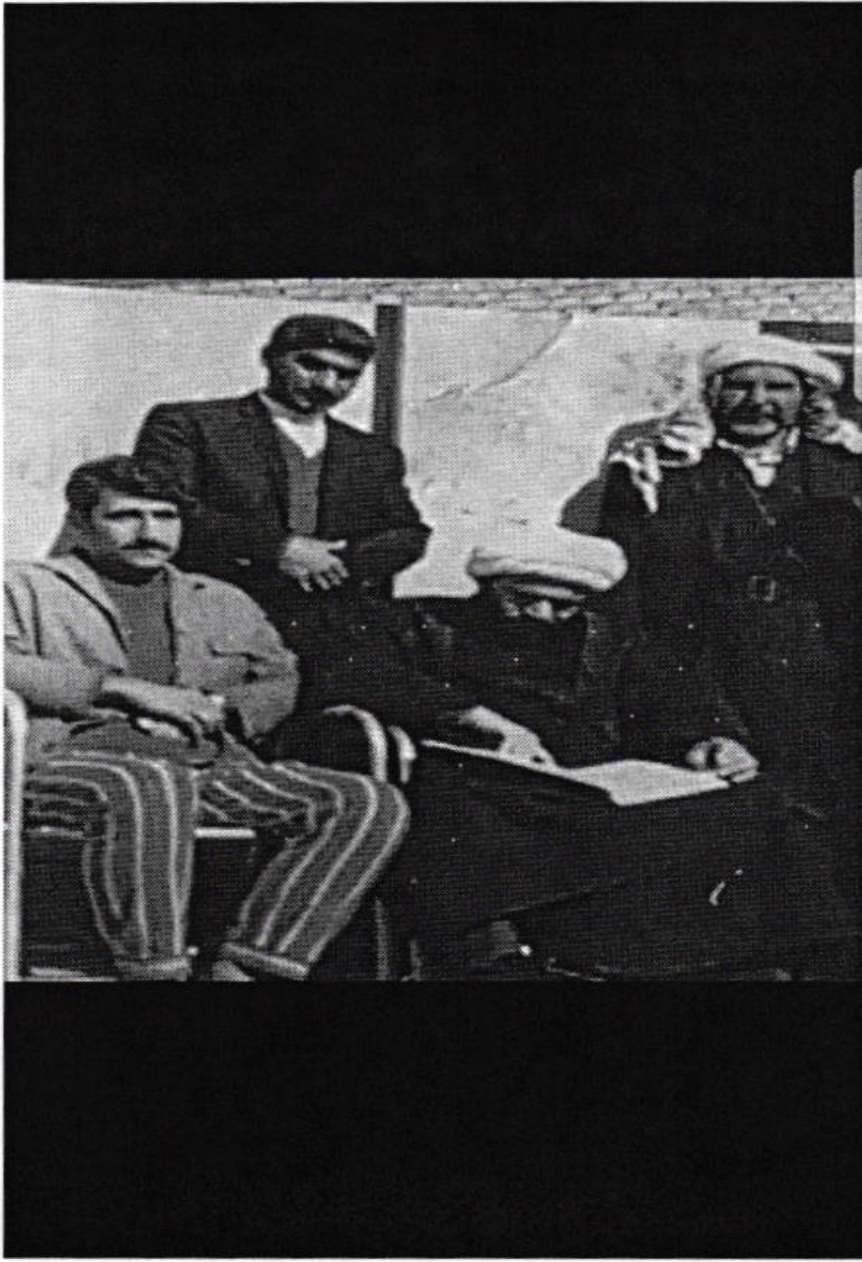
٢١١

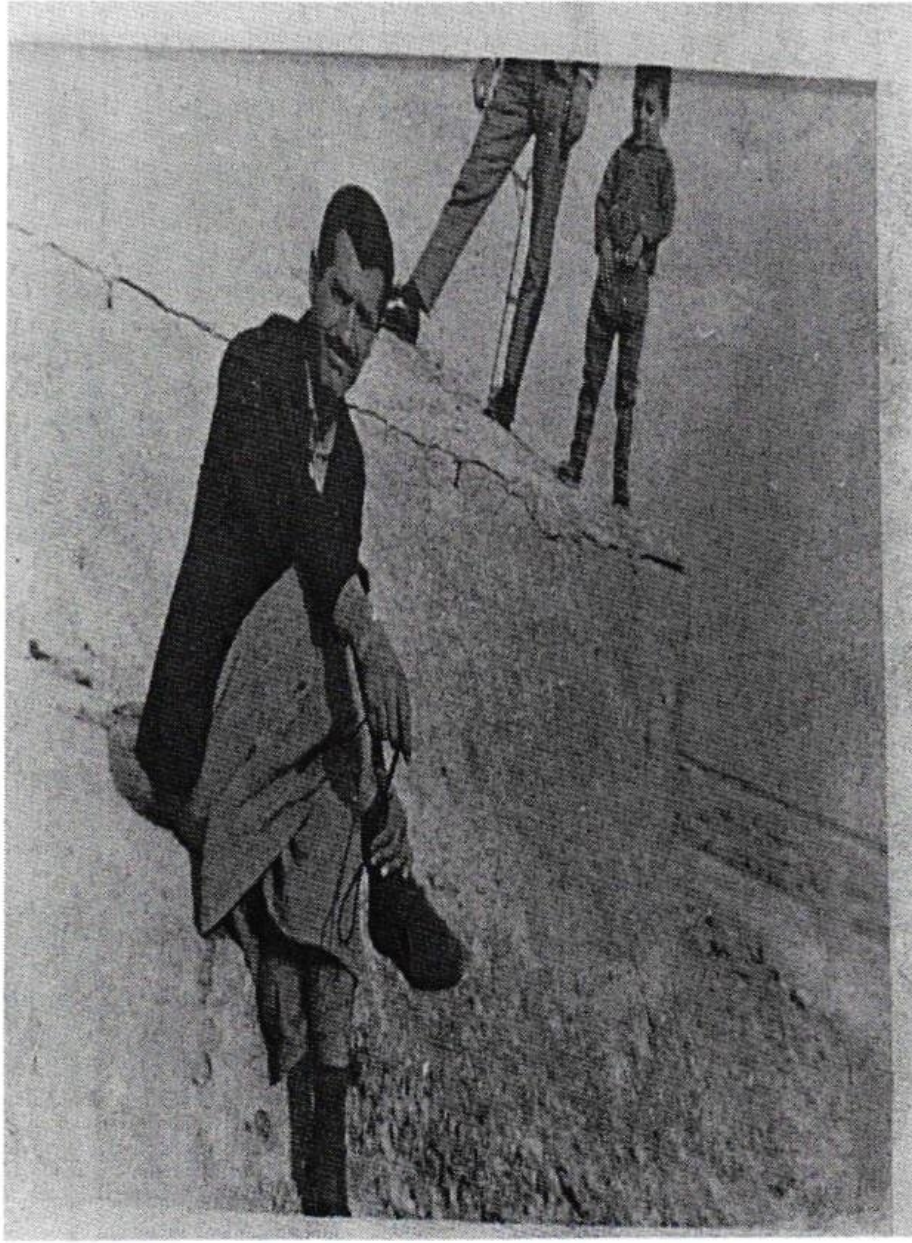
مذكرات سجين من قرية بشير



٢١٣

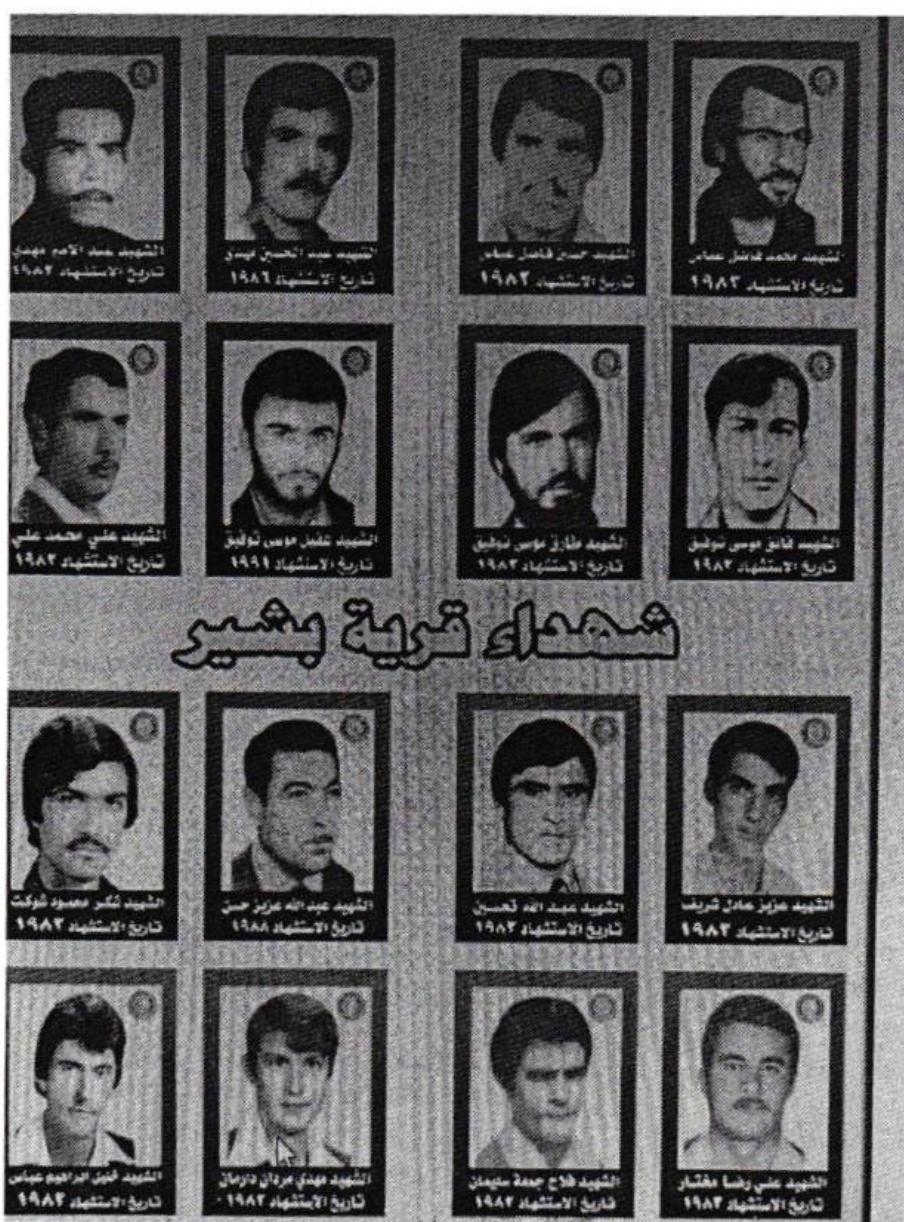
مذكرات سجين من قرية بشير

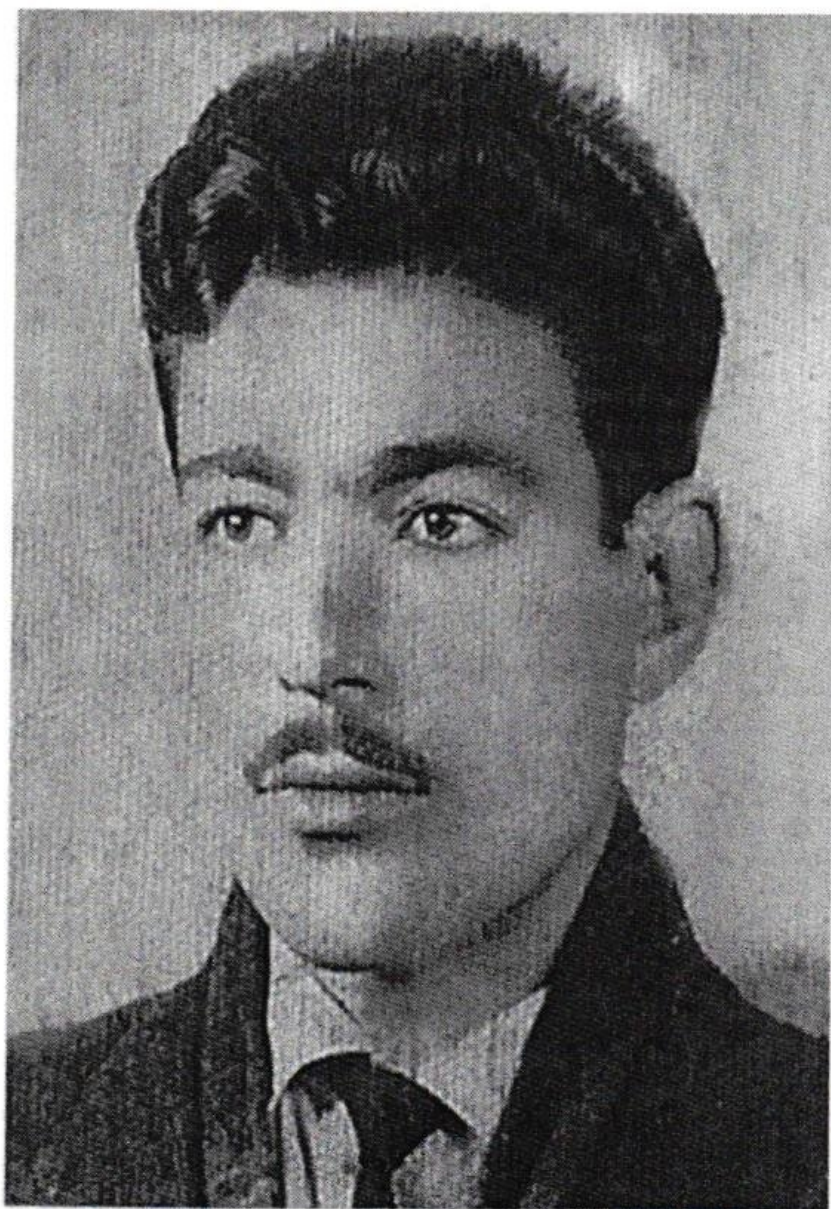




٢١٥

مذكرات سجين من قرية بشير





٢١٧

مذكرات سجين من قرية بشير

الفهرست

٧	تمهيد
١١	المقدمة
١٣	مذكرات صبي من قرية بشير
١٧	لكن حزب البعث
٢٢	استاذي نوري كرم قاسم - ودار المعلمين
٣٠	حين غاب الصدر
٣٤	شهداء القرية
٤٣	محطة أمن كركوك
٥٣	لقاء لا ينسى - خالي في سرداب أمن كركوك
٥٩	حفلة العذاب
٦٠	فخر الدين... وجه الطفولة يحترق
٦٢	المعلم شكر حسن عسكر
٦٤	صديقي عيسى فاضل
٦٦	سمين خير الله
٦٨	الصوت الذي اسمعه .. ولا ارى صاحبه

٧١	ابن عمّتي ... حسن
٧٨	عائلة الحاج صابر مهدي موسى
٨١	صرخة أمي .. وشموخ أبي
٨٥	التهجير والملاحقة
٨٧	محكمة الثورة - بغداد ١٦ / ٢ / ١٩٨٢
٩٦	سجن أبو غريب من الداخل ١٩٨٢
٩٩	المكان الذي لا تدخله الشمس
١٠٦	يوم في زنزانة
١١٢	السجين الذي خائنه حبيبته
١١٦	السيد صالح السويج
١١٩	سعد طليقة
١٢٢	التدرن أو (السل الرئوي)
١٢٧	أيام في المحجر
١٣٢	صديقي ابن القرية صادق زين العابدين
١٣٤	الهلوسة والتعب النفسي
١٣٦	علي حسين مريعي
١٣٩	سجادة الصلاة

١٤٣	ما شرف الرجل سوى كلمة
١٤٥	عيد في زنزانة
١٤٨	تمرد في أبو غريب
١٥٢	عودة التكبيرات
١٥٦	مجلس عزاء في الزنزانة
١٦٨	حين خان الصديق
١٧٣	الكويت.. الفخ الذي اسقط صدام
١٧٥	الانتفاضة الشعبانية
١٧٨	القرار رقم (٢٤١) تموز ١٤ / ٧ / ١٩٩١
١٨١	من فراق الأعزة إلى لقاء الاحبة
١٨٩	من سجن أبو غريب.. إلى السجن الكبير
١٩٧	الملاحق والصور

طبع في مطابع
دار الشؤون الثقافية العامة

٢٢٣

مذكرات سجين من قرية بشير

٧١,٩٢٠

أ٨٩٩٩ امين، رضا عباس

مذكرات سجين من قرية بشير / رضا عباس امين. - ط ١ -

بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة العامة، ٢٠٢٥

(٢٢٤ ص؛ (٢١×١٤) سم.

١ - الرجال (السجناء) - تراجم - أ - العنوان

رقم الايداع

٢٠٢٥ / ٥٤٤٤

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٥٤٤٤) لسنة ٢٠٢٥

٢٢٤

مذكرات سجين من قرية بشير

هذه مذكرات كتبها رضا عباس امين، الذي ولد في بيت
الطين وعاش في القرية، ولم يكن اديباً ولا كاتباً
محترفاً، لكنه كان شاهداً صادقاً على الجريمة
المنظمة التي تعرض لها أبناء قريته ووطنه.

شهادة توثيقية حية تروي فصولاً من معاناة اهالي
قرية بشير، تأتي أهميتها انها ليست مذكرات
شخصية، انما هي تاريخ قرية، بل هو تاريخ امة
ذاقت الويلات من نظام عنصري وطائفي شوفيني.

وهي دعوة لكل رفاق المحنة الذين شاركوه، اقبية
السجون والمعتقلات، ولاسيما اخوته التركمان الى كتابة
مذكراتهم، حتى لا تندثر معهم في التراب، وتكون شاهداً
للأجيال اللاحقة ليأخذوا العبرة والدرس من التاريخ.



وزارة الثقافة والسياحة والآثار - العراق
إصدارات دار الشؤون الثقافية العامة
تصميم الغلاف : ابتسام السيد
السعر : 3000 دينار عراقي